دراسات أثـــرية

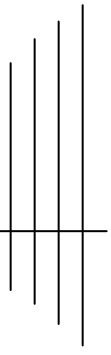

رسالة المشرق

الوصف المعماري لمسجد القاضي بركات بحارة اليهـــود بالقاهرة

دراسة ميدانية

Architecture description for Al-Kādi Barakāt mosque, In the Jewish quarter, Cairo; A Field Study

د.أحمد زكريا زكي (*)

ملخص الدراسة :توطئة

مسجد القاضي بركات بحارة اليهود؛ هو أحد المعالم الإسلامية القليلة والنادرة بهذا الحي ذو الصبغة اليهودية؛ البناء ينطلي على قدر من الغرابة ليس بسبب طبيعة عمرانه– (المندثر)–ولكن بسبب فكرة وجوده المتفرد في هذا الحي ذو الأغلبية السكانية من اليهود؛ وبخاصة أنّه شيّد في بداية القرن السادس عشر؛ عندما كان الحي لا يزال يتمتّع بأغلبية من السكان اليهود! هذا الوجود أسيئ تفسيره في الدراسات العربية والإسرائيلية على حد سواء؛ فذهب المؤرّخون العرب لاستخدامه كدلالة على وجود إسلامي كبير في الحي اليهودي؛ أما الإسرائيليين فذهبوا للطعن في تاريخ هذا الوجود واعتباره معبد يهود قديم (تلمود– هاتوراة) الذي تم تحويله لمسجد بعد جلاء اليهود عن الحارة من بعد عام ١٩٥٦!! وهو أمر غير حقيقي.

قام الباحث بعدة دراسات جميعها تهدف في النهاية لتوفير القاعدة المعلوماتية التي من خلالها يمكن عمل دراسة إعادة بناء تصوّر جرافييكي للمسجد العثماني المندثر؛ من بينها

* – أستاذ مساعد؛ بقسم الهندسة المعمارية –كلية الهندسة – جامعة عين شمس.

دراسة حول تاريخ عمارة وبنيان مسجد القاضي بركات في الحارة اليهودية؛ منذ تأسيسه حتى شطبه من قوائم الآثار؛ ثم أعمال تجديده وترميمه التي أطاحت بالقيمة التاريخية والأثرية له؛ ودراسة أخرى متعلّقة بضريح المنسي الذي كان في هذا المسجد؛ حيث أهتمت هذه الدراسة بتتبع جميع الأصول التاريخية والمصادر المتعلّقة بأضرحة المنسي بمصر والبلدان العربية؛ مع دراسة معمارية شاملة لها؛ أما هذه الدراسة فهي تعنى برصد الحالة المعمارية القائمة للمسجد والتّعرف على طبيعة مفرداته المعمارية من خلال زيارة ميدانية قام بها الباحث..

كلمات مفتاحية: يهود مصر عمارة إسلامية مساجد؛ المنسي؛ الجمّالية.

Abstract:

Al-Kādi Barakāt mosque, In the Jewish quarter, Cairo, considered to be one of the rarest Islamic monuments in this quarter of the city with Jew are the majority inhabitants, this structure present some kind of strangeness not due to its architectural features which are misfortunes (lost), but for individually existed in this Jewish neighborhood. The mosque had been constructed in early 16th, while the quarter named *"Haret Al-Yahoud"* still bare its own name from its Jewish inhabitant, this strange existence had been misunderstood by Arabs and Israelis Historians, the Arabs said *Al-Kādi Barakāt* mosque proves there was many Muslims living among Jews, and the Israelis had gone farther to claim that the mosque was once an 19th's Jewish synagogue converted by Arabs into a mosque after 1956! Which totally not correct.

This research is a continence work dealing with the same mosque by the same author to increase the knowledge about *Barakat* s mosque which later on can be helpful in the Graphic reconstruction process, one of them was a study about the history of the mosque own architecture from its construction age till the time it had been restored and lost its historical physical value, another study was about *Al- Mansi'* s Maqams, which traced all Egyptian *Makams* bared that name, this study is a field study to document the contemporary architecture's situation and identify the architecture elements and spaces of *Al-Kādi Barakāt's* mosque.

Key-words: Jews of Egypt, Islamic Architecture, Mosques, Mansi, Gamaliyah..

مقدّمة:

للحظة من السهل القول بأن هذا المسجد؛ وإن كان لا ينقصه أي شيء من الناحية الإنشائية أو المعمارية لو تواضعنا في نظرتنا للعمارة؛ إلا أنه صورة مأساوية لحالة معمارية وتاريخيَّة وتراثية تتحول فيها المساجد والآثار التاريخية التي لم تحظ باهتمام من اللجان الوزارية سواء في الأوقاف أو الآثار أو الثقافة إلى نموذج متواضع من السيرة التاريخية لمدينة القاهرة؛ نسخة لا تحمِل أي قيمة تاريخيّة أو تراثيّة يسهل حذفها!

هذه الحالة المعمارية المشينة ليست الوحيدة في منطقة الجمّالية؛ كذلك هي ليست الوحيدة في كل المناطق التاريخية والتراثية في مصر. للأسف. ومع ذلك ربّما تكون هذه الدراسة وما صاحبها من سلسلة دراسات أخري متعلّقة بالكشف عن الميراث التاريخي الضخم لمسجد القاضي بركات في حارة اليهود؛.. ربّما تكون بداية لاستيعاب حجم ضخامة الخسارة التي يحققها المصريون بإهمالهم لدراسة تاريخهم المعماري؛ فخلال دراسة سابقة تبيّن قيام عدد من الباحثين والمؤرّخين الإسرائيليين بتزييف وطمس تاريخ هذا المسجد استنادًا فقط للوضع المتردِّي الراهن له.

تختص هذه الدراسة ذات الصبغة الميدانية والاستكشافية؛ برصد الوضع القائم والراهن لمسجد القاضي بركات في حارة اليهود؛ وتعتبر هذه الدراسة امتدادًا لدراسات سابقة تناولت تاريخ الهندسة المعمارية للمسجد وضريحه المندثر [١]– كما أنّها تعتبر دراسة تمهيديّة أساسية يلزم خوضها؛ قبيل الشروع في دراسة إعادة بناء تصوّر جرافيكيى (Graphic re-construction)[٢] للمسجد العثماني (ذو الهيئة المملوكية الجركسيّة) المندثر والذي كان قائمًا في حارة اليهود.

لذلك عنيت هذه الدراسة بتوثيق الرسومات المعمارية (orthographic) للوضع الراهن للمسجد؛ ومعاينة عمارته الحالية؛ كما قام الباحث بمقابلة إمام المسجد " الشيخ كمال عبد الله" في يوم ٢٢ أغطس من عام ٢٠١٩؛ ومناقشته حول كل أعمال الترميم والتطوير التي

جرت في المسجد خلال الفترة الطويلة التي استمر فيها يعمل في خدمة المسجد منذ أواسط السبعينات وحتى عام ٢٠١٩؛ قرابة ٤٠ سنة.

الكثير إن لم يكن أغلب العناصر المعمارية التي سيتم استعراضها خلال هذه الدراسة لا تحمل أي قيمة تاريخية أو فنيّة؛ ومع ذلك هي مدخلنا الأساسي على الأقل لرصد الطبيعة الفراغية لبناء المسجد؛ والبنية القائمة (Foot-Print)– التي لا مناص عن رصدها وتوثيقها لمعرفة أين يمكن وضع العناصر المعمارية التراثية والتاريخية؛ في مواضعها الصحيحة على النسيج التَّراثي المستحدث للمسجد الحالي؛ لذلك سوف يحاول الباحث رصد هذه العناصر بشكل سريع؛ لأنّها سوف تكون مفردات اللغة الأساسية خلال محاورته للشيخ "كمال عبد الله" لمحاولة التعرف على لمحات من تاريخ التوزيع الفراغي القديم لعناصر المسجد..[٣]

١-خلفية تاريخية مختصرة لمسجد القاضي بركات بحارة اليهود:

يعود الفضل في إنشاء هذا المسجد للقاضي بركات بن قُرَيْمِط حيث شيّد في عام ١٤٩٩م؛ حيث أقيمت الخطبة الأولى في يوم الجمعة في محرّم–صفر سنة ٩٠٥هجريّة؛ "" **وفيه كان إقامة الخطبة بالجامع الذي أنشأه بركات بن قُرَيْمِطْ بحارة زويلة؛ وجاء في غاية الحسن؛ ولا سيّما بذلك الخط**"[٤]. واستمر المسجد على هذا الحال طوال ٢٠٠ سنة تقريبًا يخدم رجال الصاغة وتجار الجواهرجية المسلمين؛ في الأسواق المحيطة بالحارة اليهودية جهة خط بين القصرين؛ ولكن بالطبع لم يكن وجوده مريحًا لسكان الحارة من اليهود؛ لذلك تعرّض المسجد للعديد من مظاهر الإهمال كما جرت العادة كما في المدرسة العاشوريَّة التي كانت أيضًا قائمةً في حي اليهود؛ وبحلول نهاية القرن الثامن عشر؛ رصد مؤرخو الحملة الفرنسية وجود ذلك المسجد في الحى اليهودي[٥] دون إبداء أي ملاحظات عن حالته المعمارية واكتفوا بالتعجّب؛ حول ماذا يفعل مثل هذا البناء في قلب حارة اليهود؟؟ ".. .. **من الأشياء الجديرة بالملاحظة أنّه وسط هذا التجمّع الكبير–حارة اليهود–يوجد**

مسجد!!"[٦]- ومع ذلك؛ حتى هذا الصمت؛ قد يحمل معانى هامة؛ إذ يمتاز كتاب وصف مصر بملاحظات مثل (خرب) وكون هذه الملاحظة قد غابت عن مسجد القاضي بركات؛ فهذا يعنى أن المسجد كان قائمًا وبحالة جيّدة؛ وربّما غير مستخدم بسبب الظروف الحربية التي تركتها الحملة على مدينة القاهرة..

ولكن المسجد يعود مرّة ثانية للظهور؛ ضمن أعمال زيارة ميدانية للجنة حفظ الآثار العربية لحارة اليهود في عام ١٨٧٧م والتي انتهت بإخراج هذا المسجد من القائمة القصيرة للآثار العربية والإسلامية؛ " أنّه لا يمكن تصنيف هذا المسجد الصغير ضمن المعالم التاريخية الأثرية التي تعنى اللجنة بالمحافظة عليها؛ وأن الإدارة العامة للأوقاف الإسلامية هي المسؤولة عن نفقات صيانة هذا المسجد"[٧]... بداية من هذا التاريخ بدأت رحلة الإهمال والتراجع الطويلة لمسجد القاضي بركات بحارة اليهود؛ حتى صار يعد في عام ١٩٥٩ كأحد المساجد الخربة والمهملة من جانب وزارة الأوقاف[٨]- ولكن خلال فترة ١٩٧٠-١٩٧٣؛ حدثت أعمال تجديد و ترميم أهلية شاملة للمسجد؛ هدمت فيه الأطلال القديمة والحجرية للبناء العثماني؛ وتم عمل بناء جديد بدعم من الأهالي وبإشراف من وزارة الأوقاف؛ وقد رصد تقرير للجنة استقصائية أمريكية أعمال التجديد تلك وتكلفة إعادة البناء؛ " جامع القاضي بركات؛ والذي سمى باسم منشئه "القاضي بركات"- وقدّرت تكلفة بنائه بنحو ٢٠٠٠٠٠"[٩].

ثم وفي ظل هذه الحالة من غياب الأثر المادي العثماني؛ ومن بعد معاهدة السلام توافد على الحارة اليهودية عشرات المؤرخين اليهود والإسرائيليين؛ حيث قام الجميع بتدوين قراءاتهم التاريخية الذاتية عن هذا المسجد والتي كانت تخدم قضاياهم القومية!.. على أي حال كل هذه المُدوّنات لم تكسب هذا المسجد سوى المزيد من الغموض؛ في النهاية بحلول عام٢٠١١-٢٠١٣؛ كانت حالة المسجد قد ساءت وبخاصة في أماكن دورات المياه؛ حيث قام الأهالي بجمع التبرعات وأعيد إنشاء المسجد من جديد؛ على نظام

خرساني؛ لتختفي تمامًا القيمة التاريخية والروحية لهذا المسجد الفريد؛ تلك القيمة التي قد نشاهدها؛ عندما نزور ذلك المسجد في الحى اليهودي[١٠]؛ ولكن يمكن من خلال دراسة تاريخية متأنّية أن نتعرّف على طبيعة الخسارة المعمارية التي حققناها بأعمال الترميمات الأهلية والعشوائية لذلك الصرح؛ ولكن من قبل الخوض في هذه الدراسة يتحتّم علينا أوّلا؛ أن نقوم بزيارة ميدانية لحارة اليهود لنتعرف من خلالها على طبيعة الوضع الراهن والحالة المعمارية القائمة للمسجد؛ وهو ما كان في نهاية اغسطس من عام ٢٠١٩.

٢-الوصف المعماري للوضع الحالي للمسجد:

بالرّغم من أن الحالة المعمارية والوضع الراهن؛ والتي هي بعيدة تماما عن التاريخ العظيم والثرى لهذا المسجد؛ الذي تعاقبت عليه الأيادي وأعمال التجديدات؛ فطمست معالمه التاريخية وأطاحت بها؛ إلا أن الطريق الطويل لاكتشاف تاريخ عمارته المندثرة؛ يجب أن يمر أوّلا بالوضع الحالي للمسجد؛ حيث من دون رصد هذا المشهد الحالي لن تكون هناك فرصة حقيقية لمحاولة جادة لإعادة إسقاط الصورة التاريخية وربطها بالوضع الراهن الذي يجب رصده والتعرف عليه بشكل دقيق. من المفيد أيضًا أن نراجع هذا الهدف الدراسي؛ قبل استعراض كل الأمور الغرائبيّة التي سنرصدها في العمارة الحالية للمسجد والبعيدة كل البعد عن أي طبيعة تاريخية أو تراثية؛ فاستذكار هذا الهدف هو السبيل الوحيد لتحمّل الصورة الأليمة لواقع هذا المسجد.

يقع المسجد في شارع "درب المسجد" في حارة اليهود والذي يحمل هذه التسمية نسبة لمسجد القاضي بركات؛ وقبيل أن يتفرع الشارع إلى عطفتين "شارع درب الحُمَصَانِي" و"شارع قاعة الفضة"؛ وكلاهما يقود المترجّل والقادم من الصاغة والصيارف؛ إلى حارة اليهود القرائين؛ لذلك كان هذا المسجد وجهة أساسية يمر بها الكثير من سكان حارة اليهود من العاملين بالصاغة؛ إلى مساكنهم في قلب الحى اليهودي..

لوحة رقم(١): المدخل الرخامي ؛ لمسجد القاضي بركات بحارة اليهود والذي جدد حديثًا في مطلع عام ٢٠١٤.

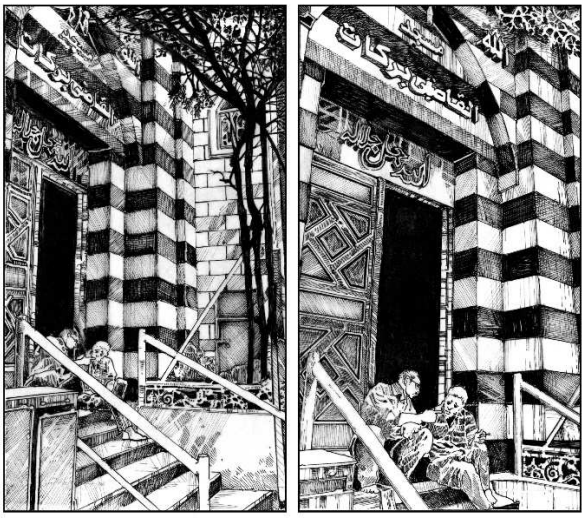

Engraved by Azard based on photographic session made on: 22 August 2019

اليوم وبعد التجديدات الكثيرة التي أحدثت في المسجد صار يدعى "بالمسجد الأبيض" أو "الجامع الأبيض"؛ بسبب واجهته البيضاء بارتفاع طابقين من الصعب على المار تبين ملامحها؛ ربّما بسبب نوافذها الصغيرة؛ أو بسبب ضيق الشّارع الذي بالكاد لا يتجاوز المتران والنصف؛ إلا أن البوابة الرخامية المتميّزة؛ والمصنوعة من مداميك من الرُّخام المتباين؛ ما بين البنى الداكن والترابي الزهري؛ تستدعى في الذاكرة صورة ساذجة عن عمارة الأبلق التي اشتهرت بها العمائر المملوكية في مصر وسوريا؛ تنتهى فتحة الباب بعقد قائم الزاوية؛ بسيط التكوين؛ كتب أسفله؛ بكتابة بارزة من الألمونيوم اللامع بكتابه بارزة؛ تشبه إعلانات المحلات التجارية التي بالفعل تنتشر في المنطقة؛ شكل رقم (١):

"الله.. أكبر"

مسجد القاضي بركات

الله جـــــلّ جلاه

هذا المدخل يتم الوصول له عن طريق صعود سلّم من ثماني درجات وهو من الأرضيّات الرخامية من نفس خامة البوابة؛ له درابزين من المواسير الحديدية؛ المدهونة بالطّلاء. المدخل محصور بين كتلتين بارزتين من المباني ذات الطلاء الأبيض؛ الكتلة الأولى وهى على يمين الداخل عبارة عن بطاريّة السلم؛ الذي يوصّل إلى مصلّى السيدات بالمسجد وهذا تحديدًا يقع أعلى منطقة الحمامات والميضأة أما الكتلة الثانية وهى تكاد تكون في حجم الأولى عبارة عن حجرة مربّعة ملاصقة لحائط القبلة تستخدم مكتب لإمام المسجد الضرير؛ الحجرة نفسها من الداخل يتّخذ فراغها هيئة صليب بفضل أربعة من الأعمدة الخرسانية الكبيرة قد وضعت في أركانها الأربعة؛ يعود الفضل لتلك الأعمدة الأربعة في تحمل الوزن الكبير لمئذنة المسجد التي تقع أعلى تلك الحجرة؛ من داخل الحجرة يمكن ملاحظة الارتفاع الهائل لسقف ذلك المكتب الذي هو بالضبط في نفس ارتفاع سقف فراغ الصلاة؛ ولكن هذه الحجرة بنافذتيها الصغيرتان المطلّتان على ضجيج الشارع تجعل الحجرة جزء من الشارع أكثر منها قربًا للمسجد خاصة ما أن يغلق الباب الصغير الذي يربطها بفراغ الصلاة؛ خلال مقابلة إمام المسجد؛ الشيخ كمال عبد الله وهو الإمام الرسمي للمسجد خلال الربع الأخير من القرن العشرين ومطلع الألفية؛ أفضى باعتقاده الشخصي في أن هذه الحجرة كانت قديمًا هي ضريح المنسي؛ وربّما أيضًا كانت في الماضي قائمة على أحد المتاجر الملحقة بالمسجد؛ الصورة القديمة للمسجد غير واضحة تماما في ذهنه ويشوبها الكثير من التشويش.

٢-١ مسجد القاضي بركات من الداخل:

يمكن القول إنه من خلال الزيارة الميدانية للمسجد والمعاينة التي تمّت في نهاية أغسطس من عام ٢٠١٩؛ تبيّن أن المسجد الحالي ليس له أي علاقة معمارية بالمسجد التاريخي الذي كان مقام في نفس البقعة من الأرض؛ بالفعل هناك خسارة أثرية حقيقية لا يمكن التراجع عنها ولكن ربّما من خلال عدة دراسات قد نستدعى شيء من الصورة التراثية

لهذا الكنز الضائع؛ ولكن في البداية يَتَوجّب علينا أن نُميّز الأرض التي نقف عليها وهي الوضع الحالي للمسجد.

اليوم وبعد أعمال الترميم المتكررة التي جرت للمسجد والتي كان آخرها في عام ٢٠١٣-٢٠١٤ صار المسجد عبارة عن بناء خرساني تقليدي انعدمت فيه كافة الحلول التقليدية و التراثية المرتبطة بالإنشاءات الحجريّة ومن خلال الزيارة الميدانية له يمكن تمييز تخطيطه المعماري الذي يتبع نمط فراغ الصلاة ذو التسعة أجزاء وهو النمط المميز لعمارة الأوقاف؛ حيث فراغ الصلاة عبارة عن صالة كبيرة مربعة الشكل؛ قد تم تقسيمها بأربعة كمرات في حالة مسجد القاضي بركات إلى تسعة أجزاء؛ مربّع كبير في المنتصف يرفع الشخشيخة مثمّنة الشكل؛ تحصرها أربعة بلاطات مستطيلة الشكل متعامدة مع اتجاه القبلة؛ وفي الأركان الأربعة من هذا التكوين الإنشائي توجد بلاطات تكاد تكون مربّعة الشكل؛ للمزيد حول مخططات المسجد ؛ انظر الشكل التفصيلي للمسقط الأفقي ؛ شكل رقم(٢).

عند حائط القبلة يوجد انحراف طفيف عن هذا النمط الهندسي؛ وهو أكثر العناصر المعمارية إثارة للانتباه في هذا التكوين؛ حيث استخدم المعماري؛ ثلاث عقود كبيرة تحمل أقبية ضخمة بشكل غير متوقّع وفي غير حاجة لهذا النمط من الإنشاء؛ مما يثير الفضول لأن هذه المعالجة قد تكون هي العنصر الوحيد المشترك بين الهندسة المعمارية الحديثة للمسجد التي تستخدم الإنشاءات الخرسانية ومعالجة قديمة مندثرة اعتمدت على الحجر وتكنيك استخدام الأقبية؛ للمزيد حول هذه المعالجة الفريدة يمكن النظر إلى الشكل رقم (٤).

شكل رقم(٢): المسقط الأفقي والفراغات الداخلية لمسجد القاضي بركات؛ عن رفع معماري قام به الباحث في خريف عام ٢٠١٩

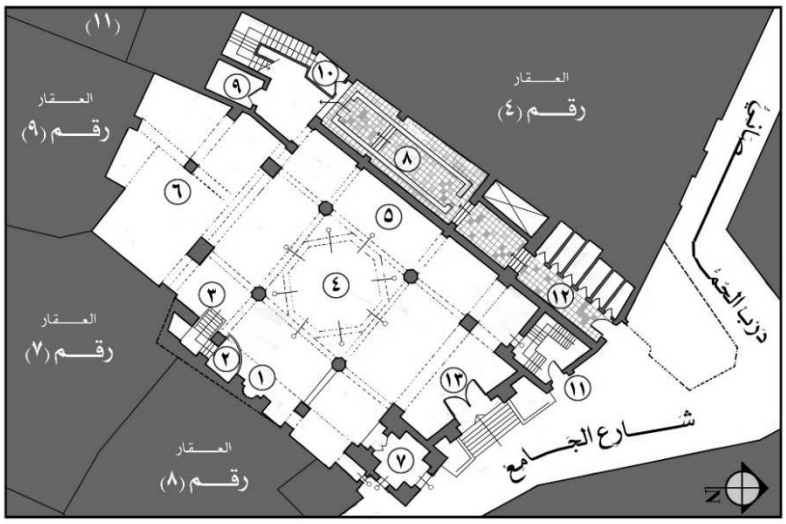

مسجد القاضى بركات بحارة اليهود؛ العناصر الفراغيّة

(١) المحراب؛ وهو من الأعمال المستحدثة
(٢) المنبر
(٣) السلم الذى يصعد به الإمام لكى يرتقى المنبر
(٤) فراغ الصلاة ويتوسطه شخشيخة مثمنة الشكل
(٥) الجزء الخلفى حيث دكك العجائز
(٦) فراغ ملحق بصالة المسجد؛ لا توجد به أى نوافذ وهو مستخدم كمكتبة؛ ويعلوه مصلى آخر للرجال يشرف على فراغ الصلاة
(٧) حجرة الإمام؛ لها نافذة تطل على الشارع؛ ويتوصل لها من داخل فراغ الصلاة؛ وتعلوها مئذنة مستحدثة
(٨) الأماكن المخصصة لوضوء المصلين
(٩) مخزن أو حجرة صغيرة أسفل السلم
(١٠) السلم الصاعد للطوابق العليا ؛ ويتوصل له من خلال بوابة حديدية؛ ضيقة للغاية
(١١) مدخل مصلى السيدات؛ وهو عبارة عن بطارية سلم يتوصل لها من الشارع.
(١٢) الحمامات؛ وتعلوها مصليات السيدات
(١٣) مدخل المسجد؛ وهو من الأعمال المستحدثة؛ التى زيدت فى المسجد وتم توسعته فى آخر ما استجد من ترميمات من بعد عام ٢٠١٣.

Engraved by Azard based on photographic session made on: 22 August 2019

٢-٢ عناصر معمارية وملاحظات حول مسجد القاضي بركات حالياً:

بصفة عامة لا يوجد في العمارة الداخلية للمسجد أي ملاحظات يمكن ربطها بقيمة تاريخية قديمة للمسجد؛ فيما عدى التوزيع المكاني الحالي للفتحات ووجود الجيران؛

وكذلك ميول حدود الجار ودخلة الشارع؛ لذلك يمكن الاكتفاء باستعراض بعض اللوحات التي تم رسمها بناء على صور فوتوغرافية تم التقاطها في المسجد؛ متبوعة بملاحظات حول العناصر التي تستعرضها تلك الصور.

لوحة رقم(٣): الفراغ الداخلي لبيت الصلاة في المسجد؛ لقطة منظوريّة موسّعة

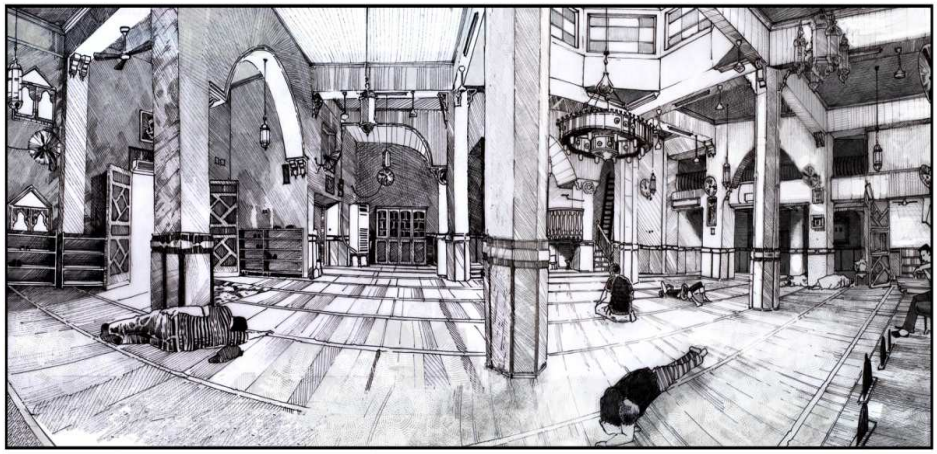

Engraved by Azard based on photographic session made on: 22 August 2019

ملاحظات حول الصورة: يظهر بها المدخل؛ أقصى يسار الصورة؛ والأعمدة الأربع التي تتوسّط فراغ الصلاة؛ حيث يرى أحد المصلين يعكف على الصلاة وقد استقبل القبلة؛ وفي أقصى يسار الصورة ترى الشرفة العلوية المطلة على بيت الصلاة؛ وهى قديمًا كانت موقع ضريح المنسي؛ على أكثر الروايات صحّة؛ أما الرجال النيام في كل مكان بالمسجد؛ فهي عادة وتقليد في هذه المنطقة الصناعية الشعبية حيث يلتقط العمال بعض ساعات القيلولة والراحة في المسجد بين صلاة الظهر والعصر؛ أو بين صلاة العصر والمغرب؛ وهو ما يرتبط لديهم بنوبات عمل مسائية في المنطقة..

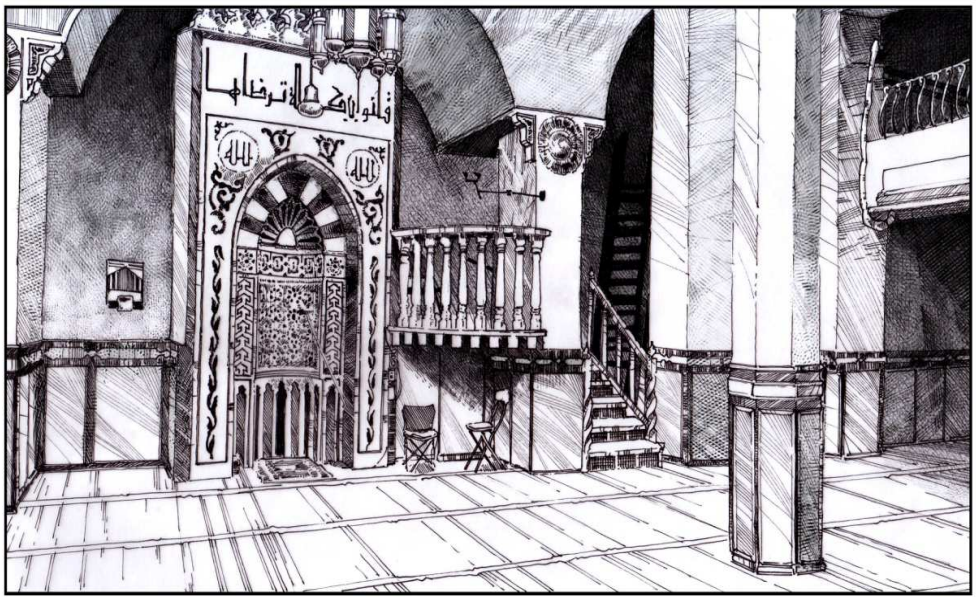

لوحة رقم(٤): حائط القبلة في المسجد
Engraved by Azard based on photographic session made on: 22 August 2019

ملاحظات حول الصورة: يمكن فهم الوضع الحالي للمسجد؛ باعتباره نتاج فوضى التبرعات والاسهامات الخيرية لأفراد؛ لم يجدوا مظلة من الأوقاف لخدمة عمارة المسجد؛ ومع ذلك فإن كل العناصر المعمارية المستجدّة في هذا المسجد؛ على درجة كبيرة من البساطة والوضوح بحيث لا تكون هناك أي حاجة للتوقف عندها؛ فجميعها وحدات نمطية؛ وقوالب سابقة التجهيز استخدمت في هذا البناء كما استخدمت في مباني أخرى؛ مثل المحراب أو درابزين منبر الإمام؛ فيما عدى عنصر معماري وحيد وهو القبو (the Vault) وهو من نوع القبو المستمر مدبب الشكل–(Pointed Arch parallel vault)– يعلو منبر المسجد؛ يظهر ككتلة بنائية خرسانية بالطبع؛ مع أكتاف ودعامات ضخمة تعكس روحًا لنمطًا معماريًا ربّما كان قائمًا قبل تلك التجديدات؛ الأمر الملفت؛ أن هذا القبو يظهر في نقطة التقاء الشبكية المديوليَّة الموازية لاتجاه القبلة؛ مع الخط المائل لحدود الأرض.

شكل رقم(٥): المِحراب المستحدث في المسجد

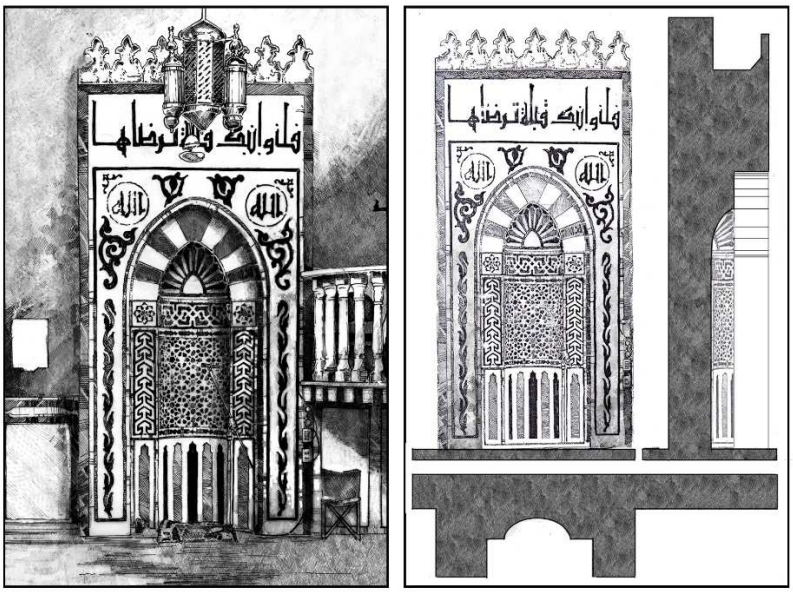

Engraved by Azard based on photographic session made on: 22 August 2019

ملاحظات حول الصورة: لا يوجد أي شيء مميز في هذا المحراب؛ من المرجّح أن يكون محراب المسجد القديم الذي كان في مطلع السبعينات؛ على درجة من جماليات العمارة؛ ولكن هذا المحراب؛ قد فقد مع ترميمات المسجد المستحدثة في عام ٢٠١٣-٢٠١٤؛ وظهر هذا المحراب الجديد؛ وهو قالب سابق الصنع من الرخام الصناعي؛ قد ألصقت فوقه شرفات جصيّة رخيصة الصناعة والتركيب؛ أما المحراب نفسه فهو من أعمال القوالب المخصصة للغرف التي يتم تحويلها لمصليّات داخلية في الأبنية العامة والمصالح الحكومية؛ يمكن فهم ذلك؛ من التجويف الضحل لحنية القبلة؛ أما بروز أكتاف المحراب؛ فهي تلاعب بسماكة الرخام (extrude)- ومن المؤكّد بما لا يدعو مجالا للشك أن محراب؛ القاضي بركات بن قريمط الأصلي كان على درجة كبيرة من الروعة والفخامة مقارنة بالوضع الحالي..

لوحة(٦): مشهد داخلي من مسجد القاضي بركات؛ الحائط المواجه للقبل من جهة المدخل

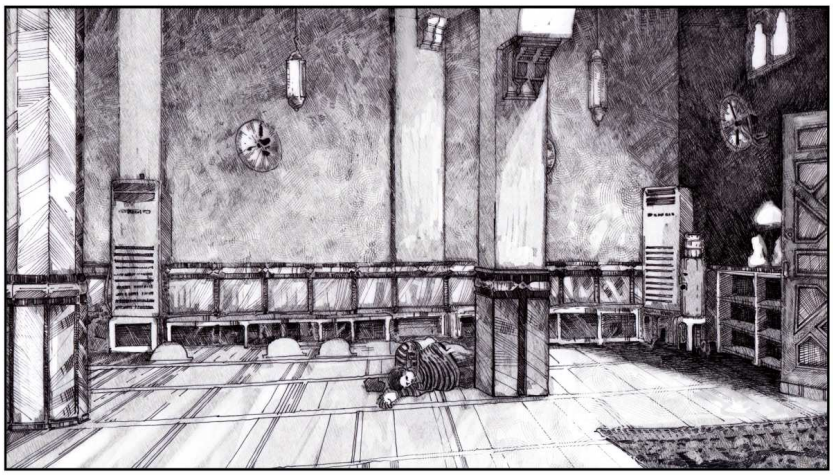

Engraved by Azard based on photographic session made on: 22 August 2019

٣-توقيع الأصول التاريخية؛ لمسجد القاضي بركات؛ على الوضع الراهن:

يمكن حصر وتحديد العناصر المشتركة بين الأصل التاريخي القديم لمسجد القاضي بركات عثماني الطراز مع المسجد الحالي وحصرها في عدة نقاط:

أوّلا؛ حدود الجار: لم يحدث أي تغيير في حدود الجيران بين المسجد القديم والجديد المستحدث؛ لذلك وبالتبعية؛ قد يتم افتراض أن المسجد القديم كان يستخدم نمطًا وتوزيعًا مشابها لأماكن الفتحات الموجودة حاليًا مع الأخذ في الاعتبار الطبيعة التاريخية للبناء القديم الذي كانت واجهته ترتفع على مجموعة من الحوانيت كما كانت هناك كتلة تبرز عن الواجهة تستخدم كحانوت ومتجر وقف يصرف على خدمة المسجد؛ كما رصدت ذلك لجنة حفظ الأثار العربية في عام ١٨٧٩؛ واليوم تم ضمها للشارع بقصد توسعته. وفي ذلك قد نلاحظ أن الفراغ الداخلي للمسجد سيكون شديد الإظلام؛ إذا لم يكن هناك عنصر إضاءة علوية يتوسّط هذا الفراغ؛

لذلك من الراجح أن الشخشيخة المثمّنة التي تتوسّط هذا الفراغ وتضيئه اليوم؛ سبقها في الماضي؛ عنصر معماري آخر.

ثانياً: شبكية اتّجاه القبلة؛ وعلاقتها بحائط الجار: لاتزال هذه النقطة من الأمور القائمة والتي نعرف أنّها كانت موجودة في المسجد القديم؛ وبالطبع هي من الأمور التي يحترمها المسجد القديم؛ بيد أن معالجات الخرسانة المسلحة في التعامل مع هذه المشكلة بأعمدتها ودعاماتها (Pillars) تختلف بدون شك عن أعمال البناء الحجري والحوائط الحاملة التي كانت مستخدمة في عصر تأسيس المسجد.

أما الأمور المختلفة؛ فيمكن ذكر أهمّها؛ مثل حضور عنصر مصلى السيدات؛ وغياب عنصر ضريح المنسي؛ بالرغم من أن إمام المسجد لم يقدّم إفادة حقيقية حول موقع ذلك الضريح! أثناء مقابلته؛ غياب الواجهة التجارية للمسجد؛ وغياب هيئة وموقع المئذنة التي على الراجع كانت عثمانية؛ بنهاية قلمية؛ غياب المتاجر الملحقة والبارزة في غربي المسجد...

شكل رقم(٧): قطاع مواجه لحائط القبلة بمسجد القاضي بركات في حارة اليهود

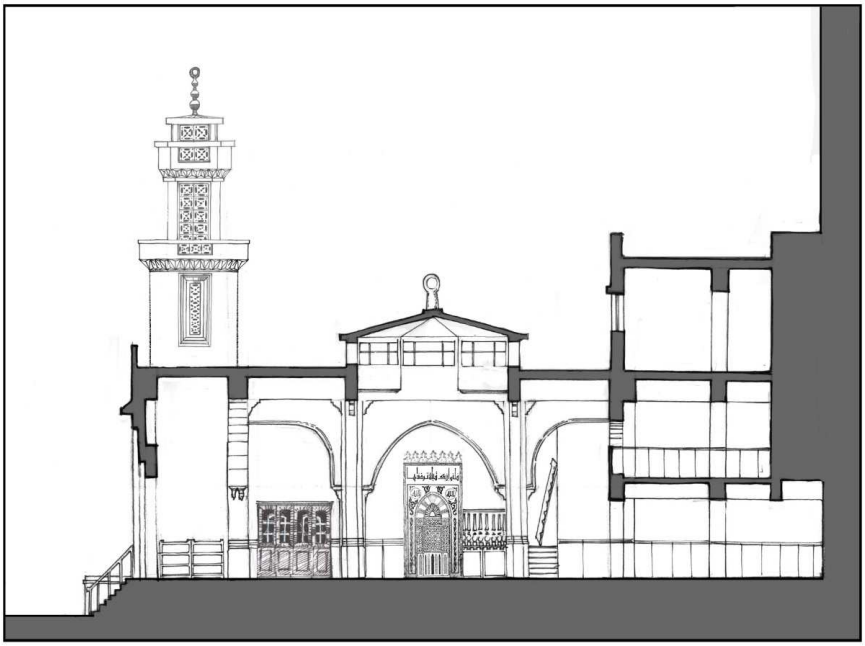

Engraved by Azard based on photographic session made on: 22 August 2019

٤- النتائج :

قبل زيارة مسجد القاضي بركات بحارة اليهود؛ لم يكن من السهل توقع أن الوضع الراهن على هذه الدرجة من المأساوية؛ تحوّلت فيه كافة المعالم التاريخية لهذا الأثر الهام لأمور من الصعب جدًا تمييز أصلها التاريخي حتى بالنسبة لباحث متخصص قام بعمل ثلاث دراسات متخصصة حول مسجد القاضي بركات في حارة اليهود؛ ولكن على أي حال كانت هذه الزيارة خطوة ناجحة لتوثيق هذا الوضع باعتباره البداية الحقيقية والأرض الصلبة التي من خلالها يمكن بدأ رحلة إعادة بناء التصور الجرافيكيى (Graphic re-construction) على الأقل قدّمت هذه الزيارة الميدانية العديد من المعلومات الطيبة حول شكل الأرض و طبيعة حدودها؛ إلى جانب علاقتها بالجيران؛ وهى من الأمور التي تبيّن ارتباطها بالأثر القديم..

كذلك تم عمل مقابلة مطوّلة مع الشيخ "كمال عبد الله" إمام مسجد القاضي بركات منذ منتصف السبعينات؛ وحتى عام ٢٠١٩؛ أمدّ الله في عمره وبارك في علمه؛ والذي قدّم الكثير من الملاحظات الهامة والغنية التي يمكن توظيفها في بناء تصور عن حالة المسجد قبيل تجديدات عام ٢٠١٤ والتي يفترض بها أن تكون قريبة نوعًا ما أو أكثر قربًا للمبنى التراثي؛ من المبنى القائم اليوم؛ هذه المقابلة الهامة تم إرفاقها كملحق بهذه الدراسة..

لذلك يمكن القول؛ بأن المسجد القائم اليوم بحارة اليهود؛ والذي يحمل نفس اسم المسجد المملوكي العثماني؛ بعيد تماما عن الشكل التراثي للمسجد القديم؛ ولكنّه لا يزال يحتفظ؛ بنفس مكان البناء؛ ومسطّحه حيث لم يطرأ تغيير كبير في حيّز الجيران؛ كما أنّه وبالتبعية لا يزال يحتفظ بنفس توجيه القبلة؛ ونفس واجهة الشارع؛ فيما عدى ذلك؛ قد تغيّرت جميع عناصره المعمارية والتراثية... هذه هي الأرض الصلبة الوحيدة التي نقف عليها حتّى الآن على أمل أن تمدنا الدراسات التاريخية بالمزيد من المعلومات التي قد تسهم؛ في إعادة بناء تصور تاريخي لهذا الصرح المندثر.

٥-توصيات خطّة العمل المستقبلية في عملية إعادة بناء تصور جرافيكيى (Graphic re-construction) للمسجد المندثر:

قبل الخوض في رحلة إعادة بناء تصور جرافيكي (Graphic re-construction) للمسجد المندثر؛ تبقّى عمل دراستان تاريخيّتان؛ أظهرت هذه الدراسة ودراسات سابقة وجوب طرق هذه الأبواب قبل وضع الاستراتيجية التي سيتم اتباعها في إعادة البناء:

أولًا: دراسة تاريخية تتناول علاقة يهود الحارة بمسجد القاضي بركات؛ ومدى تورّطهم وسعيهم في إفشال هذا المسجد والسيطرة عليه؛ إذ تبيّن في دراسة سابقة لكراسات لجنة حفظ الآثار العربية أن عددا من القيادات اليهودية في حارة اليهود؛ كان حاضرًا جلسة معاينة المسجد والتي تم خلالها شطب المسجد من قائمة الآثار العربية؛ يلاحظ أن أعمال المعاينة سبقت الثورة العُرَابِية حيث كان يهود الحارة يسعون لإغلاق الحارة وتحصينها ببوابات خوفًا من اقتحامها؛ لذلك وجود هذا المسجد لم يكن ميزة؛ كما أن نفس كراسة اللجنة قد أثبتت مقابلة القائمين بها لقيادات يهودية تقدّموا إليها بطلبات لضم مقابر اليهود بالبساتين ضمن جملة الآثار العربية؛ توجد سيرة كاملة لمحاولات يهودية قديمة لإفشال هذا المسجد؛ في مقابل سيرة أخرى للصعود بهذا المسجد من بعد عام ١٩٧٣ من جانب جماعات اسلامية صوفية؛ في الحقيقة الوجود الغريب لهذا المسجد في ذلك الموقع غير المتوقّع جعله على الدوام نقطة شد وجذب بين المسلمين واليهود؛ هذه السيرة غير الاعتيادية تستحق أن توثّق وتدوّن لعلها تكون مصدرًا في تخطى العقبات التي قد يواجها الباحث في محاولة إعادة البناء؛ كما أنّها كانت على الدوام جزء أساسي من تاريخ البناء بغض النظر عن قيمها السلبية أو الإيجابية!

ثانياً: توجد وثيقتان عثمانيّتان؛ كحجج وقف تتناول تاريخ أو سردية ما (؟)عن مسجد القاضي بركات في حارة اليهود؛ محفوظة لدى دار الكتب والوثائق؛ تم الإشارة لهما ضمن الدراسة التاريخية "تاريخ مختصر لمسجد..." ولكن حتى الآن لم يتوصّل الباحث لقناة مفتوحة مع هذه الهيئة تسمح له بالاطلاع عليهما؛ ومع ذلك؛ فهتان الوثيقتان؛ هما درجتان أساسيّتان يجب تخطيهما؛ قبل التشجع وطرق باب إعادة البناء..

ملحق(١)

مقابلة مع الشيخ كمال عبد الله إمام مسجد القاضي بركات؛

بتاريخ؛ الخميس ٢٢ أغسطس سنة ٢٠١٩

"كان نفسنا والله نُفِيدَكُمْ أكتر من كدة بس معلش"؛ هو ده اللي نعرفه عن الجامع" بهذه الجملة انتهت مقابلة الشيخ الضرير "كمال عبد الله" إمام مسجد القاضي بركات؛ بعد أن انقضت ربّما أكثر من ساعتين قضيتها معه في حجرة إمام المسجد القديم بحارة اليهود؛ هو شخص ذو روح مرحة؛ لطيفة؛ يتحدث بفطرة وتلقائية؛ تجعله قريب للقلب؛ يَتمتّع بذكاء متّقد؛ وشخصيّة قوية تتوار خلف روحه المرحة؛ دون أن تلقى على حضوره بأي ظل ثقيل؛ الذكريات التي يشاركها خلال هذه المقابلة؛ تمنح المسجد؛ روح حيّة؛ أكثر منه تراث معماري مندثر!

الفترة الكبيرة التي عاصر فيها الشيخ "كمال" مسجد القاضي بركات؛ في عصره الثاني؛ –عصر "ما بعد اليهود"– وهو العصر الذي كان مبتدأه في منتصف الستينات؛ في أقصى التقديرات تفاؤلاً ؛ أو في عام ١٩٧٤؛ خلال أقل التقديرات تفاؤلًا؛ تجعل الفترة الطويلة التي قضاها الإمام "كمال" في المسجد؛ شاهدًا على كل التغيرات والوقائع والأحداث؛ التي جرت في ذلك المكان؛ بعض الذكريات يستدعيها؛ بصورة ضبابية؛ برغم من أهميتها مثل أعمال التجديد والترميم؛ والبعض الآخر يسترجعه بصورة شديدة الدقة بالرغم من بساطة تلك الذكريات؛ مثل سرقة حذاء أحد المصلين؛ أو حنفيّات المسجد؛ وعلى أي حال لم أحاول خلال هذه المقابلة ممارسة أي ضغط على الإمام؛ لتذكر أحداث ووقائع بعينها؛ فضّلت تركه يسترسل في الحديث كما يبدو له الأمر؛ لأن الصورة الذهنية للمسجد في عين الإمام هي المبتغى؛ ومع ذلك؛ في بعض الأحيان؛ كنت ألقى ببعض الاستفهامات حول بعض الأمور وأتركه ليجيب عنها بالطريقة التي يفضّلها؛ وعند عودتي؛ قمت بإعادة ترتيب هذه المقابلة؛ وفق للموضوعات التي تناولتها؛ لكى يسهل العودة لها؛ ومضاهاتها بالتاريخ الذي تمّ جمعه عن مسجد القاضي بركات:

(١) الشيخ كمال عبد الله إمام المسجد؛ (٢) تجديدات مسجد القاضي بركات؛ (٣) الآثار؛(٤) المحلّات التجارية المندثرة؛ (٥)الضريح المندثر؛ (٦) خطب الجمعة والدروس والإمام السابق؛ (٧) مصلّى السيدات؛ (٨) دورة المياه والميضأة؛ (٩)جماعة العشيرة المحمّدية؛ (١٠) زلزال عام ١٩٩٢؛ (١١)الجماعات الإرهابية في نهاية التسعينات؛(١٢) أحداث ثورة عام٢٠١١؛ (١٣) اللصوص والحرامية؛ (١٤) حارة اليهود.

(١) الشيخ كمال عبد الله إمام المسجد:

خلال منتصف السبعينات كان الشيخ جمال يَدْرِس في الأزهر الشريف (ثانوي وجامعي) وكان يعمل بشكل مؤقّت في مسجد القاضي بركات بحارة اليهود؛ ولكن تعيينه الرسمي بالمسجد كمساعد للإمام كان منذ عام ١٩٧٩؛ لذلك هو كان شاهدًا على تواجد جماعة الشريعة المحمدية عام ١٩٧٤؛ كما أنّه شاهدًا على كل التحولات المعمارية والتجديدات والترميمات التي أحدثت في المسجد خلال الربع الأخير من القرن العشرين؛ بقدر ما يستطيع وصفها. خلال فترة عام ١٩٨٢-١٩٨٣؛ كان الشيخ كمال متواجد في المسجد بصفته مقيمًا للشعائر؛ إلا أن روايته لتاريخ المسجد تعود حتى عام ١٩٧٤؛ في القدم؛ كما أنه ينسب التجديدات الأقدم لمسجد القاضي بركات لفترة الستينات؛ دون أن يقدّم تاريخ محدد ودقيق لها. هو من محبي الرسول عليه الصلاة والسلام؛ "**أنا عند الرسول عليه الصلاة والسلام لا أستطيع تمالك نفسي**"؛ كذلك هو ممن يوقّرون الشهر الكريم؛ كذلك اشتهرت عنه عبارة في مدح الشهر المبارك والثناء عليه؛ "الله الله في رمضان"؛ وهو ما يتوافق ما نفس الوصف الذي قدّمه الشريف عنه.

لوحة(٨): سطح مسجد القاضي بركات؛ حيث ترتفع الشخشيخة في منتصف السطح؛ وتحيط مباني الجيران المرتفعة؛ كل واجهات المسجد فيما عدى واجه الشارع؛ التي تزينها مئذنة متواضعة مربّعة المقطع؛ تنزوي في ركن البناء؛ وتعلو حجرة الإمام؛ بالسطح توجد عدة حجرات وملحقات؛ يستخدم بعضها كمصليّات؛ والبعض الآخر كسكن وإقامة للعاملين بالمسجد.

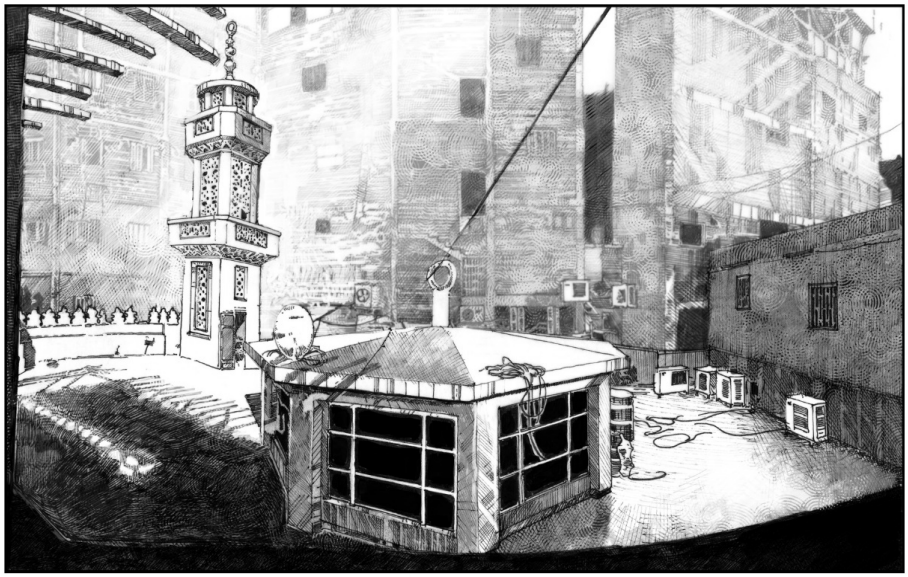

Engraved by Azard based on photographic session made on: 22 August 2019

(٢) تجديدات مسجد القاضي بركات:

تعد هذه التجديدات والتي تمت بشكل متسلسل في المسجد ومكثف خلال الربع الأخير من القرن العشرين العقبة الرئيسيّة أمام اكتشاف أو التعرف على الصورة التاريخية العتيقة لذلك المسجد الذي كان يومًا ما أثرى؛ لذلك فإن كلمات الشيخ كمال ووصوفاته لحال المسجد القديم؛ تحتل في هذا السياق أهمية كبيرة باعتباره شاهدًا على تلك الأعمال؛ فبسؤاله عن حالة المسجد المعمارية؛ عندما بدا العمل به سنة ١٩٧٩؛ أجاب: "كان مباني؛ أنا وريتها للبشمهندس أمجد إمبارح (يقصد كان حدود المسجد عند العمودان المربّعان من بعد المدخل).. الجامع كان أصغر من كدة؛ وريته وقلتله إن الجامع كان أصغر من كدة؛ والتجديدات الأخرانية دي؛ وسّعت وأضافت مساحات كبيرة للجامع

يعنى المساحة بقت كويّسة!"– طيّب هل هذه التجديدات أخدت حاجة من أرض الشارع أيضًا؟

"لا ما خدتش من الشارع؛ لأن ده شارع الحكومة".. طيب أنا أعرف زمان الجامع كان قدّامه جنينة! .. **"..لا دي جنينة كانوا عاملينها كدة؛ وزارعين فيها شويّة حجات كدة..! عشان دى إيه!!..هو الجامع!!..أقولّك حاجة.. انت عارف السلم اللى كان برّه ده؛ السلم اللى برّه وتطلعوله برّه ده!!.. كان من جوّه الجامع..نفس الحتّه دي ولكن من جوّه الجامع بعد ما تخش من الباب الخشب بقى؛ أنا وريتها للبشمهندس أمجد إمبارح بالليل؛ وريتهاله كدة وشاورتله عليها؛ مكان ما تخش كدة؛ كان السلم من جوّه؛ على ما تطلع كام سلّمه كدة وتخش تلقى الجامع؛ وكانت دورة المياه؛ بالحمامات؛ بحنفيات الوضوء كانت في الوِش كدة وانت داخل في آخر الجامع كدة في الوش؛ مكان الصندرة؛ تحت الصندرة اللى بيصلّوا فيها؛ عند المكتبة القديمة؛ كانت دورة مياة كلّها؛ فكانت دى واخدة من مساحة الجامع؛ فلمّا اتنقلت دورة المياه؛ في الناحية التانية في الجنب اليمين وأنت داخل؛ إدّت مساحة ووسّعت صحن الجامع من جوّه".**

شكل و لوحة رقم(٩): مئذنة مسجد القاضي بركات بحارة اليهود..

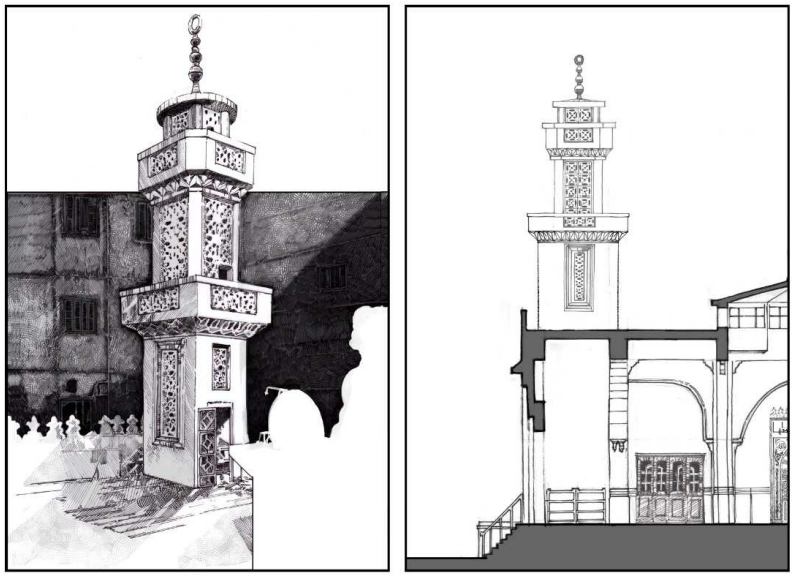

Engraved by Azard based on photographic session made on: 22 August 2019

لوحة(١٠): مشهد داخلي من مسجد القاضي بركات؛ أسفل الشخشيخة المثمّنة التي تتوسّط بيت الصلاة

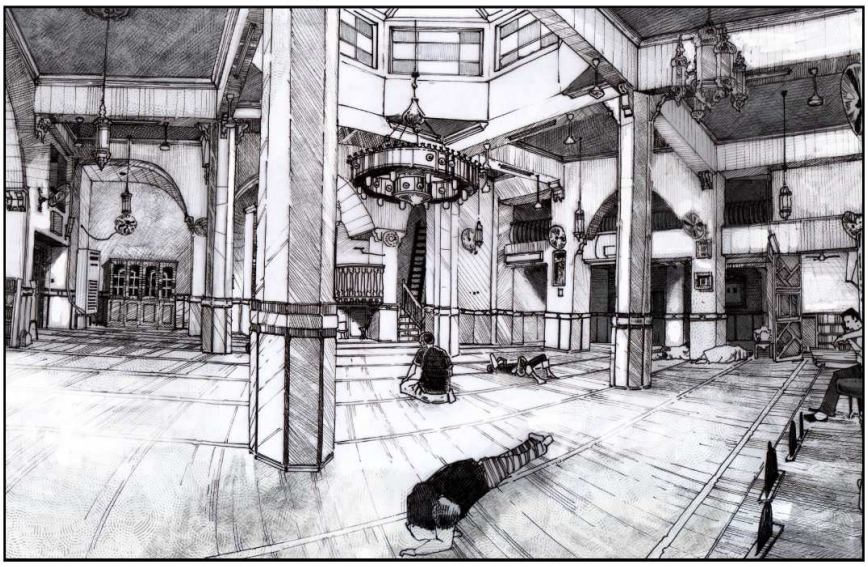

Engraved by Azard based on photographic session made on: 22 August 2019

بسؤاله عن عام هذه الترميمات؟ أجاب: "**دة دة كان في ٢٠١٣-٢٠١٤؛ وافتتح تقريبًا الجامع سنة ٢٠١٣؛ ودى كانت آخر تجديد اتعمل في المسجد؛ آخر حاجة دي**" ..طيب وهل هناك من تجديدات أخرى أحدثت في المسجد تسبق هذه؟.."**هو قبل كدة إتجدد في أواخر الستينات؛.. زمان كان الجامع ده قديم؛ كانت أبنيته مهدّمة وخربة؛ وفي ناس بقى اللى كانوا في الستينات؛ جم بنوه؛ كان زمان مكتوب على الجامع من بره التاريخ بتاع المسجد من زمان؛ مش عارف ليه شالوها ومرجّعوهاش تاني من بعدها؛ كان مكتوب زمان على الباب إن القاضي بركات هو اللى بناه وسنة كام؛ بس الظاهر لمّا جددوا فاتتهم يحافظوا على الكتابة دي؛ كان المفروض يخلّوها تاني؛ يعنى حتى كانوا كتبوها بنفس النسخة ونفس الكلام وتتحط في نفس المكان فوق الباب؛ بس للأسف أيامها مكنتش موجود في المسجد؛ على أساس إن الجامع كان بيتجدد وبيترمم فمينفعش أقعد فيه**".. في أي سنه كان هذا التجديد الذي شالوه فيه

يافطة المسجد؟.." دة الآخرانى اللى إحنا فيه دلوقتى اللى كان سنة ٢٠١٣"؛ هكذا يتّضح أن حديث الإمام عن اليافطة الخشبية التي كانت معلّقة حتى عان ٢٠١٣ فوق المدخل؛ وتشير لمسجد القاضي بركات وهى نسخة عن اللوح الحجري القديم الذي كانوا يعلوا مدخل المسجد ووصفه على باشا مبارك في الخطط التوفيقية الجديدة.

كانت هذه الأعمال التجديدية هي أكبر ما أحدث في المسجد؛ ولكن الإمام يشير لأعمال أخرى أكثر قدمًا: "كان زمان حصل تجديد في الستينات؛ كان الأول بيعمل إيه؛ لما بيلاقى الأرض هبطت شويّة؛ اللهم صلّى على البنى.. الكلام ده كان في التسعينات؛ فشالوا البلاط وردمّوا الأرض؛ دى كانت من ضمن المرمّات؛ ومرّة السقف كان الحديد البرومة كلته وبتاع مش عارف إيه؛ فشالوا السقف؛ وكانت التجديدات تعتبر جزئيّة" وبسؤاله هل في يوم ما كان سقف هذا المسجد من الخشب؟ أجاب بثقة: "لا .. كان حديد مسلّح؛..مكانش خشب لا.." وعن التجديدات القديمة للمسجد؛ "اول ترميماته كانت في الستينات وإحنا ما حضرنهاش؛ اللى بناه بقى؛ وقام بيه الله يرحمه راجل إحنا ما حضرناهوش؛ لكن انا معرفهوش؛ عشان ما أكذبش عليك"..لكن حتى حضرتك لا تعرف إسمه؟.."لا طبعًا اعرف إسمه كان قيل لنا وحكى لنا كان اسمه "سيّد أبو خبر"؛ كانوا بيقولوا عليه كدة؛ كان معاه فلوس؛ وبنى بيها الجامع؛ ودة كان في الستينات؛ لكن إحنا ما حضرناش الراجل دة! لكن احنا حضرنا سنة ٧٥ أو ٧٦ كان الجامع ده في أدّامه بيوت قديمة وفيها سكّان والبيوت وقعت؛ والحكومة دخّلت الناس وسكّنتها قعدت سنة ساكنة في الجامع؛ دة اللى حضرناه؛ كان سنة ٧٥ او ٧٦ في الحدود دى" طب وهل كن يصح يقعدوا في الجامع ويعيشوا فيه؟" ما هو علشان ما كانش لسّة إدّو ليهم مساكن؛ فالجامع إتقفل في المدّة دى سنة؛ وبعد كدة إدّوا ليهم مساكن في مدينة السلام والحتت دى؛ كانت لسّة مدينة السلام دي مدينة جديدة [١١]؛ وبدأوا بقى يدوهم مساكن ونقلوهم للمساكن هناك.. دة اللى حضرته أكيد.."

(٣) الآثار ومسجد القاضي بركات:

عند سؤال الإمام الذي قضى فترة لا بأس بها من الزمن في العمل بالمسجد؛ عن مدى إهتمام وزار الأثار؛ أو أحد من الأثريين أو الباحثين بالمسجد؛ طوال الفترة الماضية؛ أجاب: **"هو المسجد مش آثار؛ ولكنّه جامع له تاريخ؛ أما كل الجوامع والمساجد الأثرية؛ فهي مسجلة لدى الآثار؛ ولكن هنا في المنطقة يوجد مسجدان؛ يحملان اسم القاضي؛ أحدهما هو مسجد القاضي عبد الباسط؛ والآخر هو مسجد القاضي يحيى؛ وهما بالفعل آثار بشكل رسمى؛حتى عندما تخرب بهم بعض الأشياء لا يقوم أحد بعملية الإصلاح؛ وتكون الأثار هي التي تتولى عملية الترميم؛ دى شغلة الآثار؛ أى مسجد مسجل آثار؛ عمر ما في حد يقدر يمد إيده فيه!.. ميقدرش؛ لأن فيها قضيَة وفيها كلام مينفعش؛ إذ يعد هذا الأمر تبديد وتخريب للآثار؛ والدليل هنا؛ لو ان هذا المسجد(يقصد القاضي بركات) به أى آثار عمره ما كان يتجدد؛ في المساجد الأثرية ما تقدرش تركب زرار نور أو مفتاح كهرباء غير ما الآثار هى اللى تيجى تعمله؛ دى قوانين معروفه؛ الواحد بعد السنين دى كلّها مينفعش يبقى مش فاهم قوانين الحكومة؛ حتى دى تبقى خيبة منّه!.. .. .. .. لو إنتم عاوزين جامع آثار؛ في جامعين هنا في المنطقة آثار باسم القاضي بردو؛ جامع اسمه القاضي عبد الباسط في الخرنفش؛ وجامع اسمه القاضي يحيى.. دول بقى آثار؛ مينفعش حد يبنى فيهم ولا يقرّب منهم؛ هي وزارة الأثار اللى تتحكم فيهم؛ بس؛ ولا وزارة الأوقاف ولا غير وزارة الأوقاف لها تتحكّم فيهم؛ هما تلات مساجد في المنطقة بإسم القاضي".**

(٤) المحلّات التجارية المندثرة بمسجد القاضي بركات:

فكرة ضياع كل القيمة الأثرية لمسجد القاضي بركات؛ كانت ولا تزال غريبة وغير مستساغة؛ طوال اللقاء بالنسبة لى؛ كنت أتمنى لو أن هناك شيء لا يزال باقي؛ مثل أن هذا المسجد الحديث فوق سطح الأرض يخفي أسفله مسجد آخر قديم وعتيق وأثرى؛ أو حتى أساساته؛ وفي محاولة لالتماس هذا الأمل سألت الشيخ كمال؛ عن بدروم يوجد تحت أرضية المسجد؛ خاصّة وأنّه توجد حوالى ثمانية درجات صاعدة بين منسوب رصيف الشارع

وأرضية المسجد؛ على أحسن الأحوال ترتفع أرضيّته حوالى ١.٢٠متر فوق منسوب الشارع؛ هذا التساؤل بدى مزعجًا بعض الشيء لمحدثي الذي أجاب بالنفي المشدد؛ "**لا**"؛ ثم طرق بمعصمه سطح المكتب في غضب!؛ ولكن إجابته انحرفت للحديث عن المحلّات التجارية المندثرة بمسجد القاضي بركات: "**هي الحتة دي اللى كانت زمان محلات؛ الحتّة اللى إحنا قاعدين فيها دى** (يضرب بقدمة الأرض في إشارة لأرضيّة حجرة الإمام؛ بالمسجد؛ أنّها كانت قديمًا محلات تجارية)– "**لما تخبّط على الأرض هنا تسمع رنّه؛ لأن الأرض هنا غير الأرض جوّة في باقي الجامع**"؛ وبسؤاله عن تجارة تلك المحال: "**الحجات دى قديمة من تاريخ اليهود زمان؛ انت عارف اليهود كانوا زمان ساكنين هنا؛ كان اليهود قاعدين هنا؛ وكانت كل الأماكن دى ساكنينها؛ العمارات والبيوت والمحلات؛ كانت بتاعتهم؛ ولمّا مشيوم؛ في من المسلمين اللى خادلوا محل؛ واللى خدلو مش عارف إيه؛ همّا إعتبروها شطارة؛ واللى إشترى من اليهود بس اشترى بفلوس أى كلام؛ وفي بقى اللى خدوها كدة!! لمّا مشيوا اليهود في أواخر الخمسينات؛ تقريبًا سنة ١٩٥٦ لما مشيم من هنا!.. فسابوا الأماكن بقى؛ كل العماير دى اللى اتبنت كانت بتاعة اليهود بس أكترها كان مبانى قديمة؛.. خدوها بقى المسلمين قعدوا فيها شويّة؛ وكدة.. وبعدين هدّوا وبنوا ودخلت الناس؛ زمان ما كانتش الناس دى موجودة؛**".. هل دخلت أى من هذه المحلّات؟.."**لا ما كنتش أنا جيت وقتها**".. أنا بسئل لأنى بحاول أتخيّل معك شكل هذه المحلّات؛ هل كانت بنزلّها بسلّم ولا كانت على نفس مستوى الشارع؟

"**ما انت تقدر حتى لو كانت المحلّات دى على مستوى الشارع؛ ما تنساش حاجة مهمّة إن الشارع نفسه عِلى!** (أى إرتفع منسوبه)..لا حضرتك لم تذكر هذا الأمر من قبل!!.. "**لا إزاى الشارع بِيعلى؛ ما هو لمّا تشوف البلاط اللى برّة المتركّب؛ ده!.. قبل منّه كان نفسه بلاط تانى؛ وكل شويّة منسوب الشارع بيعلى؛ حتى السلم اللى أدام**

الجامع؛ السلّمة الأولانية؛ الأرض كانت حصّلتها؛ وعدّت فوقها؛ يعتبر يعنى الأرض عليت عليها!!"

الآن يوجد أمام المسجد حوالى ٨ درجات سلم؟.. "**دول زمان كانوا جوّه؛ تخش الباب وبعد كدة تلاقى درجات السلم من جوّه الجامع!؛ كان أمام الباب بسطة؛ صغيرة ما تجيبش حاجة بتاعة نص متر أو متر إلا ربع؛ وبعد كدة تلاقى الكام سلّمة دول تطلعهم؛ فتلاقى نفسك في الجامع**(يقصد موضع الصلاة) **وبعدين تلاقى دورة المياهة في الآخر بقى كدة!**"

(٥) **الضريح المندثر بمسجد القاضي بركات**:

يقال أن هناك شخص كان مدفون في هذا المسجد وله ضريح يدعى "المنسى" فماذا تذكر عن هذا الموضوع؟

> "**كان هذا الضريح يخص عبد الله المنسي؛ كان زمان حد جه وعمل لقاء معايا وكتب عن الجامع وكتب عنّه في جريدة؛ وجه مفتش من الأوقاف؛ فبقوله دة الجامع بتاعنا؛ اتكتب عنه في جريدة؛ وكانت صفحتها معايا؛ فقالى إدهالى الله يكرمك؛ قلتله حديهالك بس تجيبها؛ قال آه؛ وحياتك خدها وما جابهاش؛ وكان فيها قصّه "عبد الله المنسى" بالتفصيل؛ قلتله الله يسامحك؛ يعنى هعمل إيه مش حقول أكتر من كدة؛ وهو كان مفتّش؛ أنا لو عارف إن هو مش حيجيبها ما كنتش إديتهاله؛ واحد جابهالى يوميها (الورقة)؛ وقالى خدها؛ الجامع بتاعكم مكتوب في الجريدة دى هىّ؛ وجابلى يوميها الورقة بتاعة الجريدة**"

يوجد ضريح في منطقة باب الشعرية؛ بالقرب من هنا؛ ينسب لشخص يدعى " "عبد الله المنسى" هل تعتقد أن هناك صلة ما؟.. "..**إحتمال طبعًا يكون هو نفس المنسى؟..**"؛ طيب ضريح المنسى في مسجد القاضي بركات..أين هو الآن؛ في المسجد الذي نجلس فيه

الآن؟.. "**الجامع بتاعنا..!!.. ما فيش؛ مع إن ممكن يكون مع آثار البناء زمان الدنيا إتهدت واتبنى وخلاص!!..راح في البناء..!!.. وهناك من يقول إنّه كان في هذا المكان الذي نحن فيه الآن.. بيقال.. إنّما الله أعلم..بالحقيقة!..**" هل حضرتك تقضى الليل هنا للمبيت؟.."آه".. طب هل في في مرة حلمت حضرتك بحاجة مش مزبوطة؟؟.. "**لا هو الجامع هنا فيه ميزة؛ إنّك ممكن وانت قاعد؛ تشم ريحة طيّبة كدة تيجى من ناحية القبلة!.. ممكن مثلًا؛ تلاقى نفسك قاعد في سكينة؛ مبسوط بدون أى قلق؛ يعنى ما بتخفش من المكان؛ تعد باليل بالنهار ما فيش مشكلة خالص؛ حتى لو الحارة قافلة كلّها ما تقلقش وانت بايت لوحدك في الجامع**"..لكن أقصد حضرتك عمرك ما شفت رؤية هنا في أثناء مبيتك في المسجد؟.."**رؤية لأ.. لكن كنت بنام مستقر وكويّس مفيش أى مشاكل ولا أى حاجة؛ وكنا نقعد في المسجد ولا نمل القعود فيه**".. ما هو طبعًا أكيد كل قعدة الجوامع حلوة!.. "**لا في جوامع تقعد فيها شويّة وتحس إنك عاوز تخرج علطول..**" ياة للدرجة دى!!.. "**آه انا ممكن اقعد هنا (في مسجد القاضي بركات؛ باليل وبالنهار وطوال الإسبوع .. لا أمل ولا أخرجش؛ إلا وأنا باجى أروّح؛ لان لهذا المسجد روحانيّات جميلة؛ فدى ما فيهاش كلام ومحدش يقدر يزايد عليها**".

سألته أنّه قال في اللقاء السابق بأن حجرة الإمام كانت مكان الضريح؛ والأن يقول أنها كانت محلّات؛ كان اعتراضي غير المتوقّع مثار قلق بالنسبة للإمام؛ فأعاد رواية القصة؛ ينسبها لآخرون؛ وبأنّه ليس شاهد عيان على تلك الأحداث:

> " **اللى قالك ضريح؛ اللى همّا حكوا؛ إخواننا القدام اللى كنّا بنقعد معاهم؛ الناس الكبار اللى ماتوا الله يرحمهم؛ هما دول اللى كانوا بيقولوا لكن إحنا ما شفناش؛.. كانوا بيحكوا إن زمان كان في محلّات؛ وكان في ضريح بالمسجد؛ وكان في صحفي عمل معايا؛ لقاء زمان وكتب مقالة؛ عن صاحب الضريح؛ ولكنى فقدتها؛ الله يسهل للى أخدها منى؛ ولكنى للاسف مش فاكر اسم**

الجرنال؛ لكن أنا متأكد ان المقالة اتكتبت في فترة الثمانينيات؛ دة اللى متاكد منّه؛ كان صاحب الضريح اسمه؛ عبد الله المنسى؛ حاول تدخل النت وتنكش نكشة كدة يمكن تلاقى المقالة دى! أو تبحث في المساجد اللى فيها الأضرحة والأولياء؛ خدها من ناحية النت يمكن تيجى معاك!"

(٦) **خطب الجمعة والدروس والإمام السابق بمسجد القاضي بركات**:

عند سؤاله عن أكثر خطبة يعتقد انّها أثرت في الجمهور المستمع؛ أجاب بأن مثل هذه السؤال تصعب الإجابة عنه؛ ولكن هناك كرة أخرى يمكن أن نستبدلها بإجابة هذ السؤال: **"دائمًا الخطبة اللى بتكون قريّبة من الناس بيحسّوا بيها"؛ مثلًا: إنت لو اتكلّمت في المعاملة بين الناس؛ زى واحد جايب عامل عنده بيشغّله وما بيدّلوش حقّه؛ سعات بتصادف معاهم؛ مثلا أكون أنا بتكلّم على المنبر في الموضوع دة؛ وهى حاجة بتكون حاصلة؛ أو واحد مثلًا يكون بيعامل بالرّبا؛ في يوم كنت بتكلّم على المنبر عن موضوع الفايص؛ ف إتنين قاعدين تحت؛ واحد بيشاور للتانى؛وقاله مش عارف إيه؟ وجم يسئلونى بعد الصلاة: حد قالّك حاجة؟؟.. رديت وقلت والله ما حد قالى حاجة!..دى هىّ جت بظروفها كدة!.. واخد بالك فهىّ بتبقى لمحات كدة.. لما بيكون موضوع الخطبة قريّب من المشاكل بتاعتهم أو من حياتهم؛ الخطبة بتنال استحسانهم وبيسعدوا بيها؛ وفيهم ميزة؛ على قد كدة خلّى بالك ما يغرّكش الناس المتعلّمين دول؛ لكن فيهم ميزة جامدة وخطيرة جدًا؛ اللى هيّ: عارف أنا لو بخطب في يوم؛ وأنا تعبان أو زعلان او مدّايق أو حاجة؛...! .. بيكونوا حاسّين بيّا؛..أبص ألاقى واحد يجينى؛ بعد الصلاة يسئلنى؛ إنت كنت تعبان؛ ومدايق في الخطبة؛ ويطمئن عليّا؛ في إيه؟.. أقولّه لا مفيش حاجة؛.. يقولّى: لا لا..انت فيك حاجة متغيرّة؛ أقوله إزاى؛ طب أنا اتكلّمت كويّس ولا غلط؟.. يقولى لا: إتكلّمت صح.. بس أنا حاسس إن إنت في حاجة!!.." معلّقًا ؛ على ذلك يقول الإمام: "لا أعرف كيف؛ ولكنّهم عند هذه النقطة يكونون لمّاحين تمامًا؛ كأنّهم بيحسّوا بيًا ..لو أنا مبسوط أو**

مش مبسوط؛ وهذا يعد من أمور الذكاء التي لا يمكن وصفها؛.. يقولك لا إنت النهردة زعلان؛ أكيد في حاجة مزّعلاك؛ أقول لا مش زعلان؛ بس يمكن أكون مشغوول بحاجة..يعنى..إحنا كلّنا في الدنيا متعرّضين لدة ولدة"

يؤمن الشيخ كمال بأن بلاغة الإمام تكون في مقدرته على أن يحدّث المثقف والمتعلم بلغة يفهمها؛ و العامل البسيط؛ بلغة دارجة يفهمها؛ "..**تكون بلاغة الإمام لو الإمام مش قادر يتعامل مع كل واحد باللغة بتاعته اللى يفهمها ما ينفعش يعد في المكان! واكبر دليل إنى قعدت هنا أربعين سنة"؛ لما بقول الخطبة؛ عادة بقولها بالعامّى؛ لكن اللغة الفصحى أستخدمها في الأحاديث النبويّة الشريفة؛ لكن بعد الانتهاء من نص الحديث؛ لازم توضّح مفردات الحديث وشرحه للناس بلغه مفهومة لهم؛ ولو الإمام ما وضّحهوش؛.. معلش.. يبقى دة عيب فيه هو؛ ححكيلك قصة حصلت هنا في مسجد القاضي بركات:**

..**قبل ما أتعين إمام للمسجد كنت بتعلّم هنا كطالب في الأزهر؛ كنت وقتها في المسجد مقيم شعائر ولم أكن إمام؛ وكنا في أوائل الثمانينيّات؛ كنت موظّف صغيّر أسد عن إمام المسجد لو غاب؛ المهم.. فكان في واحد بيحضّر دكتوراه في الازهر؛ وهو كان واخد بس خطبة في الجامع هنا**(أي يأتي فقط ليقوم بالناس في خطبة وصلاة الجمعة)؛ **فكان بصراحة بيتكلم بأسلوب عالى على الناس** (أي فصيح لغويّا)؛ **فالناس صعب تفهمه؛ فكلّموه كذا مرّه؛.. يا شيخ فلان ياريتك تتكلم بأسلوب مبسّط علشان إحنا نقدر نفهم؛ ما إنت بردوا تقدر تتكلم لغة عربية فصحى ولكن بأسلوب سهل فالناس تفهمه؛ اسمه اسلوب السهل الممتنع؛ وفي أسلوب لغة عربية ممكن تتكلم بيه بس ما حدّش حيفهمه؛ هى اللغة العربية كدة؛ واخد بالك؛ البلاغة فيها؛.. قالّك لا.. يا عم إنزل لمستوى الناس..!..لا .. الناس هي اللى**

تطلع لمستوايا!.. إزاى يا عم الناس تطلع لمستواك؟.. إنت حتثقّف الناس بالعافية؟؟..فرضًا واحد ما إتعلّمش!.. إنت حتثقّفه بالعافية!!..ما ينفعش.. فالمهم إيه؛ قالّك..لأ..أنا ياسيدى همّ حيفهموا منى ..يفهموا!!.. ما يفهموش..ما يفهموش!! (في إشارة لعدم إكتراثه بجمهوره من المستمعين) **وأصر على موقفه؛.. قلنا له إحنا قلنا لك.. واللهم بلّغت اللهم فأشهد؛.. المهم يا سيدى الجمعة اللى بعدها؛** صعد على المنبر **وقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛** فقال أحد الحضور بصوت مرتفع سمعه الإمام: "**أما نشوف النهردة حتعمل إيه..! نهار أمّك إسود!!**".. **قالها بنفس اللفظ؛ وكنا قاعدين في الجامع كلّنا كدة وسامعين!.. أنا لو مكانه معرفش كنت عملت إيه!.. لكن هو سمع الكلام ونزل من على المنبر ورفض إنه يقول الخطبة؛ وتحايل عليه الناس؛..يا عم يهديك يرضيك.. لكن أبدًا؛.. كان هذا في أوائل الثمانينات؛.. مش عارف ٨٢ أو ٨٣ ..حاجة زى كدة؛ لأن أنا ما كنتش إستلمت وقتها إمام علشان كدة فاكرها؛.. المهم .. يا عم يهديك؛ يرضيك وهو أبدًا.. أنا بعد اللى سمعته.. ما اقعدش أبدًا؛.. والله ما أنا راجع تانى.. ومشى!!.. خلاص .. فعلا مشى وما رجعش تانى.. وجابوا واحد بداله ساعتها..**

(٧) **مصلّى السيدات في مسجد القاضي بركات**:

متحدّثًا عن مدخل السيّدات:"..**السيّدات ليهم مدخل لوحده برّه؛ عندهم خاص؛ ما بيجوش ناحيتنا خالص!**(يقصد مصلّى الرجال)؛ **الباب اللى بعد دة**(يقصد الباب الذي يلى باب المدخل الرئيسى)؛ **في باب صغيّر على الشمال وإحنا خارجين كدة؛ يطلعوا فوق.. الدور التانى بتاعهم؛ وعملوا ليهم كمان قوضة تانية كمان؛ وليهم دورة مياه طبعًا؛ لو عاوز تخش عندهم وتشوف؛ بس استنى يجى رجب أخليه يطلع معاك**"(١٢)؛

وبالفعل فمدخل السيدات ومصلى السيدات مستقل تمامًا عن المسجد في وضعه الحالي؛ لا يرتبط مع مصلّى الرجال سوى عن طريق الميكروفونات؛ وفتحتين نوافذ صغيرتين؛ لا تتجاوز الواحدة منهما في أبعادها النصف متر × المتر؛ وعن ذلك يعلّق الشيخ كمال :"**هي في الأول كانت تبع الجامع؛. هي كده كده تبع الجامع**!(يقصد مصلّى السيدات)"؛ يمكن وصف واجهة مسجد القاضي بركات الحالية؛ بأنّها واجهة كبيرة في منتصفها يوجد المدخل الرئيسي؛ وهو مدخل مصلى السيدات؛ وعلى يمينه من جهة الشارع يوجد باب السيدات؛ ثم في أقصى اليمين؛ يوجد باب دورة المياه.

هل كانت السيدات قادرات على متابعة أحداث الصلاة من مكان المصلى الحالي المخصص لهنّ؟.. يجيب الشيخ كمال :"**السيدات بيشوفوا؛ ما هو فيه بتاع حديد من فوق؛ ممكن يبصّوا من فوقه؛ هما عندهم سمّاعات وكل حاجة**"؛ وهنا أوضح الشيخ كمال النافذتان الصغيرتان التي من خلالهما يمكن للسيدات متابعة أحداث الصلاة؛ صغيرتان؛ كما تم الإشارة لهما مسبقًا؛ موجودتان أسفل كورنيش السقف في مصلى الرجال؛ تشبهان فتحة شفاط حمام صغير أكثر من النافذة!

"**كان الأوّل كان ليهم باب من داخل مسجد الرجال؛ مفتوح على المصلى بتاعهم؛ بس معادش بقى دلوقتى**"

(٨) **دورة المياة والميضأه في مسجد القاضي بركات**:

"**الباب الصغير على إيدك اليمين أول ما تخرج؛ هو باب السيّدات؛ وبعد كدة باب بتاع دورة المايّة؛ الحديد دة اللى على الشارع؛ دة اللى يدخلنا على الحمامات؛ وعلى الوضوء وكدة؛ كانت زمان دورة المياه دى كانت جوّه؛ أما دورة المياة الحاليّة؛ دى كانت طرقة؛ الأول دى ما كانتش دورة ميّة؛ دى كانت طرقة**(يقصد ممر سماوي مكشوف) **بنخشّلها إحنا ونفضل ماشيين؛ نلاقى فيها دورة الميّة دى!.. وكانت طويلة قوى؛ وماكنش لها سقف؛ كان تخوشليها؛ كدة طوّالى؛ لحد ما** تدخل **(تخش) شمال تلاقى نفسك داخل على دورة المياة.. مش دورة المياة الحالية؛ ولكن احنا اتفقنا ان التلت الآخرانى من المسجد زمان؛ كان هو مكان دورة المياة. إذن في**

الماضى كانت دورة المياة في آخر المسجد؛ في المكان الذي يصلّى فيه الناس الآن؟" **آة المكان القديم؛ هو نفس المكان اللى بيصلّوا فيه دلوقتى؛ في التلت الآخرانى في الجامع؛ تعرفه منين؟.. من بعد المنبر كدة!**؛ طيّب والدور دة؛ ماذا يوجد فوقه؟ "**يوجد فوقه مصلى آخر للرجال.. باقى الصندرة؛ بص الصندرة اللى تحت دى؛ فيها دور لصلاة الرجال بردو؛ بيصلّوا فيها يوم الجمعة؛ على أساس إن الجامع بيبقى زحمة؛ وكانوا بيطلعوا فوق..دى للرجالة؛ سواء في عدد كتير يوم الجمعة أو غير الجمعة؛ بتتفتح للرجالة وبيطلعوا يصلّوا فوق.**

(٩) **جماعة العشيرة المحمّدية ومسجد القاضي بركات**:

أفاد شيخ المسجد؛ بأن دورهم انحصر في بعض الدروس الدينية؛ الاسبوعية للسيدات؛ ولم يشاركوا في تجديدات المسجد؛ أو جمعوا أي تبرعّات لإصلاحه في عام ١٩٧٤؛ " **لم يفعلوا أي شيء؛ وأنا أُسْئَل عن هذا الكلام... مَلْهُمْشِ أى دور؛ همّا ليهم الجوامع بتاعتهم؛.. ليهم جوامع تبعهم همّا؛.. يعنى العشيرة دي معروفة؛.. إحنا ما بننكرش عليهم حاجة؛ ولكن هما ما كانش ليهم أكتر من إنهم كانوا بيبعتوا واحد من تبعهم يدّى درس للسيّدات**.." وعند سؤاله هل كانت هؤلاء السيّدات يتبعن للعشيرة المحمّديّة؟ أجاب: "**لا السيدات كنّ من سكّان المنطقة؛ لكن ما عادش دلوقتى؛ كان الأول المنطقة فيها سكّان؛ دلوقتى السكان كلّها مشيت لأن اللى بيهد بيته؛ بيتبنى مكانه محلّات وورش؛ فبيبيعها ورش دلوقتى..فدلوقتى كلّه إتهد!!..كلّه إتهد!!.. فمبقاش في حد!!**(يقصد روّاد للمسجد)..**قليّلين!!.. حتى الشباب اللى بتيجى يصلّوا قليّلين؛ مش زى الأول خلاص!!..ما عدش زى الأول.. ما عدش في ناس..!!**"

(١٠) **زلزال عام ١٩٩٢؛ ومسجد القاضي بركات**:

لا تزال أحداث الزلزال يذكرها الإمام؛ والذي يتحدّث عن زلزال وقع أثناء صلاة العصر؛ (ربّما يكون أحد توابع الزلزال الذي ضرب القاهرة) فيقول: "**أنا فاكر الأحداث دى؛ لاننا كنا بنصلى العصر؛ في الجامع؛ وانا كنت في الركعة التانية؛ وقايم أجيب الركعة**

التالتة؛(مش فاكر قوى أهى ركعة وكنت قايم أجيب الركعة التانية ولا التالتة) المهم.. الناس لقت الجامع بيترج؛ أنا عن نفسى فكّرت إن الجامع بيقع!.. مجاش في بالنا إن دة كان زلزال؛ والمصلّين خرجوا وهاصوا؛ وبوّظّوا علينا الصلاة!!.. معملوش مشكلة ولا حاجة؛ بس الناس قعدت تكبّر؛ .. الله أكبر..!! .. واللى خد جزمته وطلع يجرى؛ وكان منظر يثير الضحك شويّة؛.. بس هو ضعف الإنسان معلّش؛ إحنا بردو لازم نلتمس لهم العذر لضعف الإنسان؛ ولكن لم تحدث أى تلفيات أو تشرّخات في المسجد؛ لكن أنا فكّرت وقت الصلاة إن الجامع بيقع فعلًا؛ قلت الجامع والمبانى بتقع".

(١١) **الجماعت الإرهابية في نهاية التسعينات ومسجد القاضي بركات**:

عند سؤاله؛ عن الجماعات الإرهابية؛ والمنظمّات التكفيرية؛ التي كان لها حضور قوى؛ في المساجد غير النظامية؛ خلال فترة الثمانينات وحتى نهاية التسعينات؛ كان رد الإمام قاطعًا بأن هذه الجماعات لم يكن لها أي وجود في مسجد القاضي بركات.

(١٢) **أحداث ثورة عام٢٠١١؛ ومسجد القاضي بركات**:

"**إحنا الميزة؛ عندنا؛ إن أي حاجة بتحصل بتكون بعيدة عن الجامع**"؛ معلّلا الهدوء الذي تمتّع به مسجد القاضي بركات؛ بعيدًا عن خضم الأحداث السياسية التي شهدتها القاهرة؛ منذ عام ٢٠١١؛ وحتى عام٢٠١٣؛ حيث كانت التيّارات السياسة؛ والاحزاب المتصارعة على الحكم؛ تبحث دومًا عن موطئ قدم؛ ومقرًات لها؛ في كافة المناطق الحضرية؛ لاستخدامها كقواعد؛ من أجل التحرّكات الانتخابية؛ التمثيل السيَّاسي في المجالس النيابيّة: "**لأ.. لأ.. تجمّعات جوّه الجامع!!.. مكنش في.. ليه بقى؟.. بسببى أنا..!!؛.. ما هو انا لما مشيت من هنا من الوزارة**–(يقصد تقاعده للإحالة للمعاش)– **والجامع اتقفل وجم فتحوه**–(يقصد بعد تجديدات سنة ٢٠١٤)–**كان في عندنا مدير الله يسهلّه ما كانش عاوز يرجعنى الجامع؛ فكان حيمسك الجامع الجماعة الإخوان؛ والجماعة السلفيّة؛ فالأمن إتّصل بمكتب الوزير؛ ورجّعونى؛ مش بمزاجهم؛ بناءًا**

على طلب الأمن؛ ومكتب الوزير؛ والموضوع مجاش كدة؛..هم بيصلّوا معانا وعلى دماغنا من فوق؛ وإخواننا وكل حاجة وحبايبنا؛ وأنا بحبهم ومفيش ما بينى وبينهم أى خلاف؛ ولكن دة شغلى وشغلك؛ بس؛ على دماغى من فوق صلى؛ وإقعد وزى ما إنت عاوز تقعد؛ إنّما عندنا تجمّعات..لا!!.. حجات مش عارف إيه.. لأ!!..كل دة.. فدة اللى كان مخلى الجامع عندنا ماشى؛ مزبوط؛ لذلك أنا لمّا ببقى جاى أمشى؛ الوزارة بيقعّدونى بكل الطرق؛ سواء **الوزارة أو الأهالى.. على أساس إنى أنا مبديش فرصة للكلام دة..تجمّعات في المسجد لا.. لكن عاوز تصلّى؛ إقعد يا حبيبى؛ صلى زى ما إنت عاوز؛ يا رب تصلّى طول النهار!.. ما حدّش حيقولّك إنت بتعمل إيه.. إنّما تجمّعات ونقعد نعمل جماعات..لأ"**.. وكيف كان حالكم في أيام ثورة يناير؟.."**يعنى حنعمل إيه؛ كنّا نفضل في الجامع لحد صلاة العصر؛ وبعد كدة نقفل الجامع أيّام الحظر** (حظر التجول) **اللى كان ماشى وقتها؛ فنقوم نصلى العصر ونقفل المسجد؛ وكنت أقعد أنا لوحدى أصلى المغرب والعشاء جوّه؛ وكان في بقى ناس بيعملوا معايا واجب وعارفين إنى صايم اتنين وخميس؛ ويجيبولى فطار وأقفل على نفسى وأقعد؛ كنّا ملتزمين بالحظر"**؛ ولكن أنا اعرف إن أيام الثورة؛ حدثت خناقة كبيرة في حارة اليهود؛ وخرج البلطجية؛ وسرقوا محلات الذهب بالصاغة وخان أبو طاقية! فهل شهدت هذه الأحداث؟.."**دة ما كنش هنا بقى ولكن كان جوّه في الصاغة؛ الكلام دة حصل فعلًا في الصاغة؛ لكن الدنيا عندنا هنا هادية؛ لأننا في الجامع بنلتزم؛ الناس عارفة معاد حظر التجول؛ خلاص؛ بنصلى العصر ونقفل؛ اللى يخبط ما يخبطش مالناش دعوة بحد!؛ أنا فكار يوم ٢٨ يناير ٢٠١١؛ كنت بصلى الجمعة؛ وعلى بال ما خرجت باب الشعرية؛ لقيت بتوع الشرطة بيتجمّعوا؛ ومش عارفين بيجوا ليه؟ والدنيا كانت مقلوبة.. فـ مسافة ما خرجنا قالّك دة فيه ثورة ومش ثورة!!؛ وحصل ضرب؛ وكانت الطّامه الكبرى يوم ٢٨؛ وبعد كدة أنا هوجمت واتشتمت؛ وكان في ناس هنا بيصلّوا**

معانا من الإخوان هاجمونى وشتمونى؛ وكانت الشتيمة في غيابى؛ لم تكن لديهم الشجاعة لمواجهتى؛ وكانوا بقفوا في الشارع يتحدونى برّه في الشارع؛ يقولوا ها... ها..! مش عارف إيه؛ كنت أقولّهم الشاطر اللى يضحك برّه في الآخر؛ خلى بالك أنا بتكلّم معاهم بأسلوبهم؛ لان كل واحد ليَّ أسلوبه في الكلام معاه؛ اللى أسلوبه عادى؛ بكلّمه باسلوب راقى؛ واللى أسلوبه يعنى مش عارف إيه فلازم أكلّمه بنفس اللغة بتاعته؛ وهنا بتكون بلاغة الإمام لو الإمام مش قادر يتعامل مع كل واحد باللغة بتاعته اللى يفهمها ما ينفعش يعد في المكان! وأكبر دليل إنى قعدت هنا أربعين سنة"

(١٣) **اللصوص والحرامية في مسجد القاضي بركات**:

اللصوص في أي مسجد هو جزء أصيل من تاريخ المسجد؛ على مستوى الشق الاجتماعي له على الأقل؛ ففكرة اللصوصية؛ بقدر ما تتنافر مع الطبيعة الروحانية لدار العبادة الإسلامية؛ إلا أنّها تعكس أمرين؛ ليس من المناسب تجاوزهما دون السؤال عنهما؛ الأمر الأول هو البيئة المجتمعية المحيطة بالمسجد؛ أى خارج المسجد في أقصى لحظات ضعفها؛ أما الأمر التالي؛ فهو البيئة الداخلية في المسجد؛ في أقصى لحظات غضبها؛ ومن خلال هذا التضاد؛ يمكن التعرف على مدى نجاح دار العبادة في تبليغ رسالتها؛ لذلك كانت اللصوصية هي أحد الأمور التي توقّفنا عندها مع إمام المسجد للسؤال عنها:

> **"حراميّة!!..!!.. حراميّة إزاى؟!.. لا.. دة آخر حاجة عملوها المصاحف سرقوها!!..دة أنا عمّال أتخانق كل يوم وعمّال أعمل ميت خناقة!.. وطبعًا في حراميّة الجزم؛ عشان كدة أنا قلت ليه خلّو جزمكم عندى.. أنا كان قلبى عليكم والله"**

في محاولة للتخفيف والتهوين من الأمر: "هيًا الجوامع الكبيرة اللى فيها حرامية بس"؛ الشيخ كمال مقاطعًا: "**لا وهنا والله**".. ما تلاقيش السرقات دي في جامع صغيّر؛ محاولا امتداح مسجد القاضي بركات؛ فيرد الإمام:

"طيّب حقول لحضرتك قصّة؛.. كان مرّه في يوم جمعة فاكرها؛ طبعًا بعد صلاة الجمعة؛ دايمًا بتبقى الدنيا رايقة؛ اللى صلّى.. صلّى.. بقى؛ ومفيش حد حيصلى.. يعنى قليّل اللى لسة حيصلّى بقى؛ فدخل واحد؛.. شالَّك (أى انتزع) سبع حنفيّات مرّة واحدة؛خلعهم من الحنفيّات؛ ثم يشاء ربّنا ومسكوه؛ فجابوهولى؛ قلتله بص؛.. وقفلت عليه القوضة–(أى غرفة الإمام)– وقولتلّهم خليه لنا هنا بقى لحد ما أمين شرطة ولا عسكرى يجى ياخده ويسلّمه للقسم؛ لأنهم قالوا خلّى بالك؛ دة حاطط موس تحت لسانه؛ لحسن يعوّر حد فيكم!.. واخدلى بالك.. المهم إيه يا بنى إنت مش عارف إيه هى الحكاية؛ قوم خادوه وراحوا بيه على القسم.. إنت عارف هناك قال إيه الحرامى؟؟.. أدام المامور؛ قال:همّا بتوع الجامع اللى عملوا فيّا كدة.. عشان مش عارف في بينى وبينهم إيه؟؟.. قام حضرة الضابط؛ قاله: بتوع الجامع بردو يا مفترى؛ هو كان في بينك وبينهم تار؟؟..كانوا يعرفوك قبل كدة؟؟.. حيشيّلوك حنفيّات يا ظالم!! وحوّله نيابة؛ ووكيل النيابة لمّا عرف القصة؛ قالّه كمان وسرقة حنفيات الجامع؛ طب بس!!..ده سيبهولى بقى!!..سيبهولى وأنا أزبّطه!!

حصلت وبتحصل؛ وياما حصلت؛.. بتحصل سرقات؛ وسرقوا كمان المصاحف؛ والله دي فضيحة؛ خلونى قفلت ضلفة المكتبة؛ والجزم كمان بيسرقوها؛ أما سرقة المصاحف فدى كارثة أخلاقيّة.. مرّة واحد جزائرى؛ كان جاى هنا لناس تجار هنا؛ واتسرقت جزمِتُه؛ وكانت فضيحة بقى؛ مش عاوز أقولّك؛ بعد ما صلَّى؛ الراجال الى كان جايبه؛ بيدوّروا على الجزمة ما لاقوهاش؛ وكانت جزمة غالية جدا أيامها من حوالى ١٠ أو ١٥ سنة؛ والجزائرى قال والله يا جماعة؛ انا لسّة جايبها جديدة؛ يا دى المصيبة!!..

طب دة راجل غريب وأجنبى عن مصر؛ فدة نقولّه إية؟؟..جزائرى مش مصرى.. فضيحة.. بس كان منظر مخزى!! بصراحة.. كانت جزمة غالية والحرامى معندوش ضمير؛ خد من ده كتير.!

(١٤) **حارة اليهود ومسجد القاضي بركات:**

حضرتك لا تتذكر حادثة أو موقف هام في تاريخ المسجد؛ او خناقة أو مشاجرة؛ أنا اعرف إن حارة اليهود مشهوره بخناقاتها ومشاكساتها؛ وإن أسوا أنواع الخناقات هي التي تحدث في حارة اليهود؛ اول ما يبتدؤوا الخناقة يسارعون إلى إخراج الأسلحة علطول؟.. "**دى حقيقة فعلًا؛ علطول تسمع صوت ضرب النار؛ وألفاظ سيئة لا ترضى الله ولا رسوله؛.. تسمع كتير من دة!.. لكن الحمد لله إحنا بنبعد عن الدوشة دى؛ وأنا حتى ملّيت كمان من كتر الدوشة والمشاكل!..**طيب الم تحاول من قبل أن تتدخّل في أي من هذه الخناقات والمشاجرات بغرض الإصلاح: "**لا.. ما حاولتش؛ . لان بص للأسف..في شباب بتيجى تصلى في المسجد؛ ووقت ما يتخانق؛ لا تعرفله صلاة؛ ولا تعرفلوش أى حاجة؛** يا خسارة**!!.. للاسف يعنى بس أنا ما ينفعش أقولّك أسامى!!.. هما من حولينا في الجامع؛ لكن وقت الخناقة بينسوا الصلاة وبينسوا كل حاجة؛ ويبدأ سب وشتيمة الدين!! واللى يمسكلك مطوة واللى يمسكلك سنجة؛ واللى يمسكلك مش عارف إيه؛ فدة صعب تتكلم معاه؛ ليه؟.. مرّة في صلاة جمعه ؛ كانت حصلت مشكلة ما بين واحد وواحد؛ وأنا مش متذكر قوى في الخطبة كنت بقول إيه؟.. آة تذكّرت؛ كنت بقول عن الألفاظ؛ ايه يصح نقوله وإية ما يصحّش يتقال؛ فقامت شبّت خناقة بسبب الكلمتين دول اللى أنا قلتهم في الخطبة!! وكانت تلك من ضمن النوّادر**؛(اى ان المشاجرة؛ حدثت في توقيت غير متوقع ومكان غير متوقّع؛ وبسبب غير متوقّع!)؛ **ليه شبطت الخناقة بعد الصلاة؛ قالك بس دة فلان اللى اتخانق مع فلان؛ راح اشتكى للشيخ كمال؛ والشيخ كمال إتكلم في الخطبة بناءً عليه! وفعلا ما كنتش القصة كدة؛ القصة إن في اتنين اتخانقوا علشان الأذان؛ لكن مفيش ولا واحد منهم إشتكى لى؛ الإتنين محدّش منهم إشتكا لى؛ لكن أنا عرفت من برّه؛ فأنا اتكلّمت على**

الموضوع؛ لكن لا كان فلان ولا فلان قال لى؛ وأنا تكلّمت بشكل عام عن الموضوع؛ لا دة إشتكى لى ولا دة اشتكى لى!.. وبعد الصلاة قامت خناقة؛ ودة يقول مش حسيبه النهردة!؛ وطالع عاوز يتخانق معاه ويضربه برّة!! والدنيا إتدربكت!!.. قلتله يا جدع أنا عرفت من برّه!!.. والله عرفت من برّه تصدّق تصدّق..ما تصدقش إنت حر!!

بسؤاله عن التاريخ القديم للمسجد؛ وهل هناك أحد من معمِّري حارة اليهود لا يزال يذكر هذا التاريخ؟ أجاب الشيخ كمال: "**الله يرحمه اللى كان ممكن يقولّك على دة كلّه مات الله يرحمه؛ الحاج عويس؛ هو اللى كان عارف كل خبايا واسرار المكان هنا؛ كان ممكن يحكيلك على كل حاجة إنت عاوز تعرفها؛ كان يقولك على أى حاجة**".. طب هل في حد قديم في المنطقة كدة يقدر يفيدنا بردو؟.. "**إنت عارف ..إن كل المشكلة بتاعتنا ..إيه..إن كل القدام يا إما اللى مشى.. ياإما اللى مات وأكترهم من اللى مات..أكترهم ماتوا؛علشان أكون صادق معاك؛ أكترهم اللى كان هنا ماتوا؛ عارف لو في واحد منهم ساكن بعيد كنت قلتلك عليه؛ إنّما أكثرهم ماتوا؛ الكبار ماتوا كلّهم اللى كانوا بقعدوا معانا وبيحكوا معنا؛ فيهم ناس؛ أنا حضرت معاهم وسمعت منهم؛ بس أقل واحد فيهم اللى بقاله ٢٠ سنة واللى بقاله ١٥ سنة ميّت؛ هم دول اللى حضروا كمان الجامع لمّا إتبنى لأوّل مره**"

الهوامش :

[1]أحمد زكريا زكى(٢٠٢٠): " تاريخ مختصر لـ مسجد القاضي بركـات بحارة اليـهود بالقاهرة"؛ مجلة كلية التخطيط الإقليمي والعمراني؛ العدد رقم (٣٦)؛ جامعة القاهرة. أحمد زكريا زكى؛ (٢٠٢٠): " ضريح المنسي بمسجد القاضي بركات بحارة اليهود؛ تحريّات"؛ مجلة كلية التخطيط الإقليمي والعمراني؛ العدد رقم (٣٥).

[2] Architecture Graphic reconstruction

[3]أتوجّه هنا بالشكر الشديد والعرفان للشيخ "كمال عبد الله" إمام المسجد؛ على سعة صدره وحسن استقباله لي في المسجد وترحابه الشديد؛ كما أنّه لم يبخل على إفادة هذه الدراسة المعمارية التاريخية بأي ملاحظة؛ في الحقيقة السيرة الجميلة التي رواها عن تاريخ مسجد القاضي بركات في حارة اليهود خلال فترة معاصرته له؛ كانت على درجة كبيرة من الفائدة للبحث؛ خاصة وأنّها أضافت العديد من الأبعاد الاجتماعية لدور هذا المسجد في حارة اليهود؛ وكشف الكثير من الملاحظات الثرية عن مجتمع حارة اليهود؛ في ظل التجمع الإسلامي والصناعي التجاري الذى عاشته الحارة من بعد هجرة اليهود عنها ابتداءً من عام ١٩٥٦.. كما اتوجّه بالشكر هنا والعرفان إلى المهندس "أمجد محمد الجُويلي" طالب الفرقة المعمارية الثانية؛ كلية الهندسة جامعة عين شمس والذي صاحبني خلال الجولة التي جرت في حارة اليهود؛ ويعود له الفضل في كثير من التوفيق الذي جرى لأعمال رصد هذا المسجد؛ في الحقيقة هناك الكثير من الأمور التاريخيّة الكثيبة والدموية والتي صِرت أعرفها عن حارة اليهود؛ على الأقل بسبب دراستي التاريخية لهذا الحي؛ ولولا وجود رفيق طيّب؛ لا اعتقد أنى كنت أمتلك الشجاعة للقيام بهذه الجولة بمفردي.

[4]محمد بن إياس (طبعة ١٩٨٥): "بدائع الزهور في وقائع الدهور"؛ تحقيق: محمّد مصطفى؛ الجزء الثالث؛ دار الكتب؛ القاهرة.

[5] في كتاب موسوعة وصف مصر لعلماء الحملة الفرنسية سوف نجد إشارة واضحة لوجود المسجد كبناء يحمل الرقم (145) داخل المربع (I-7) حيث دوّن راسم الخريطة؛ في الفهرس تعليقه على النحو التالي: "جامع بركات قُرُيمت"–(Gâma' Barkât Qoromyt).

زهير الشايب؛ منى زهير الشايب(١٩٩٢): "وصف مصر؛ مدينة القاهرة؛ الخطوط العربية على عمائر القاهرة؛ سيرة أحمد بن طولون"؛ ج١٠؛ ترجمة لوصف مدينة القاهرة؛ من تأليف جُؤمَارْ (من علماء الحملة الفرنسية)؛ الطبعة الاولى؛ القاهرة؛ ص٩٤. محمد ابو العمايم(٢٠٠٣): "أثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني"؛ المجلّد الاول؛ المساجد والأسبلة والزوايا؛ منظّمة المؤتمر الإسلامي؛ مركز الأبحاث والتاريخ والفنون والثقافات الإسلامية بإسطنبول؛ طبعة اسطنبول؛ ص١٠٥.

[6]جومار؛ ترجمة زهير الشايب(١٩٩٢):"وصف مدينة القاهرة"؛ ضمن مجموعة وصف مصر؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ط١؛ القاهرة ص٢٠٣.

[7] Franz Julius, Ismaïl, Barois Julien, Grand Pierre, Ezzat (1889) : 3. Boutique du Wākf el Kadi Bārakāt. In: Comité de Conservation des Monuments de l'Art Arabe. Fascicule 5, exercice 1887-1888,. p. 12.

[8] محمّد الغزالي(١٩٥٩): "كفاح دين"؛ مطابع دار الكتاب العربي؛ بمصر؛ القاهرة ؛ ص١٤٥–١٥٨.

[9] U.S. Joint Publications Research Service,(1974): " Translations on Near East and North Africa", Vol.1093-1102, Joint Publications Research Service, P.41.

[١٠] للمزيد حول السيرة المعمارية والتاريخية لمسجد القاضي بركات بحارة اليهود؛ ومن أجل التعرف على التفاصيل الدقيقة لأعمال الترميم أو التوثيق أو حتى الكتابات التاريخية والمعمارية لهذا المسجد يرجى الاطلاع على دراسة بحثية تناولت ها الجانب بشيء كبير من التوسّع:

أحمد زكريا زكى(٢٠٢٠): " تاريخ مختصر لـ مسجد القاضي بركـات بحارة اليـهود بالقاهرة"؛ مجلة كلية التخطيط الإقليمي والعمراني؛ العدد رقم (٣٦)؛ جامعة القاهرة

[١١] أنشئت مدينة السلام سنة ١٩٧٧ فى عهد الرئيس الراحل محمد انور السادات؛ وحملت اسمها تيّمنا بالمفوضات المصرية الإسرائيلية الرامية للسلام.

[١٢] في موضع آخر من المقابلة؛ تحدّث عن مصلى السيدات: "مكانه وإحنا داخلين على إيدنا اليمين كدة؛ ده مصلى للسيدات؛ والباب بتاعه؛..سيب الباب بتاعنا ده؛ الباب الثاني الصغير بعد منّه علطول"

المراجع

- أحمد زكريا زكى؛ (٢٠٢٠): " تاريخ مختصر لـ مسجد القاضي بركـات بحارة اليـهود بالقاهرة"؛ مجلة كلية التخطيط الإقليمي والعمراني؛ العدد رقم (٣٦).
- أحمد زكريا زكى؛ (٢٠٢٠): " ضريح المنسي بمسجد القاضي بركات بحارة اليهود؛ تحريّات"؛ مجلة كلية التخطيط الإقليمي والعمراني؛ العدد رقم (٣٥).
- زهير الشايب؛ منى زهير الشايب؛ (١٩٩٢): "وصف مصر؛ مدينة القاهرة؛ الخطوط العربي على عمائر القاهرة؛ سيرة احمد بن طولون"؛ ج١٠؛ ترجمة لوصف مدينة القاهرة؛ من تأليف جومار (من علماء الحملة الفرنسية)؛ الطبعة الأولى؛ القاهرة.
- محمد ابو العمايم؛ (٢٠٠٣): "أثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني"؛ المجلّد الاول؛ المساجد والأسبلة والزوايا؛ منظّمة المؤتمر الإسلامي؛ مركز الابحاث والتاريخ والفنون والثقافات الإسلامية بإسطنبول؛ اسطنبول.
- محمّد الغزالي(١٩٥٩): "كفاح دين"؛ مطابع دار الكتاب العربي؛ بمصر؛ القاهرة.
- محمد بن إياس (طبعة عام ١٩٨٥): "بدائع الزهور في وقائع الدهور"؛ تحقيق: محمّد مصطفي؛ الجزء الثالث؛ دار الكتب؛ القاهرة .

Franz Julius, Ismaïl, Barois Julien, Grand Pierre, Ezzat (1889) : 3. Boutique du Wakf el Kadi Barakat. In: Comité de Conservation des Monuments de l'Art Arabe. Fascicule 5, exercice 1887-1888.

U.S. Joint Publications Research Service(1974): " Translations on Near East and North Africa", Vol.1093-1102, Joint Publications Research Service.